روايات عبير الجديدة

غنجر شامبرز

بريق في عيونك

www.elromancia.com
مرمورية

عدد ممتاز

روايات عبير الجديدة

www.eromancia.com

بريق في عيونك

غنجر شامبرز

بريانا كاتبة مشهورة؛ رواياتها العاطفية كانت تهز مشاعر كل الفتيات الأميركيات. جميلة، حيوية، مرحة، كانت سعيدة وواثقة جداً من نفسها.

ذات يوم؛ التقت في دالاس برايد كنتراك... واختفى اتزانها فوراً. لماذا، أمام هذا الرجل تفقد كل سلطتها على نفسها؟.

الحياة الحقيقية صعبة! ادركت بريانا ذلك عندما المقال اللاذع الذي كتبه رايدر عنها. هل سيكون بطل روايتها القادمة؟.

- ١ -

«انا احب روايتك!».

«وأبطال قصصك رائعون!».

«كانت فكرة جيدة جداً أن تضعي رواياتك ضمن إطار تاريخي! ألا يتطلب ذلك منك أبحاثاً كثيرة؟».

كانت بريانا سان كلير تجلس في وسط مكتبته في دالاس تقدم إهداء آخر رواية لها. كان ضجيج قرائها المعجبين يزعجها قليلاً، مع ان نجاحاتها المتتالية علمتها منذ مدة طويلة كيف تتخطى خجلها وخوفها الطبيعي.

منذ ساعتين «طويلتين؛ والناس يتزاحمون حولها؛ يرهقونها بالأسئلة، وبالمديح؛ ويعطونها نسخاً لتوقيعها. وكانت بريانا تتقبل ملاحظاتهم بطيبة قلب، وتجيب على أسئلتهم بمحبة واهتمام، وتبتسم رغم تعبها ومللها، والجميع

www.elromancia.com
روايـــة

سيعدون بالثرثرة، ولو للحظات مع كاتبتهم المفضلة.

عند الظهر، بدا لها أخيراً أن الإزدحام خف قليلاً. فتنهدت ومَدَتْ يدها اليمن. لقد كتبت إهداءات كثيرة حتى اصبحت تشعر بألم بأصابعها... القت نظرة إلى الشارع من خلال زجاج النافذة، ولاحظت أنها تمطر بغزارة. يا إلهي! تمتمت بصمت. لم تكن قد حملت معها مظلتها... من المؤكد أنها ستصاب بالبلل حتى عظامها قبل أن تصل إلى السيارة التي استأجرتها هذا الصباح! ألم يكن من الأفضل أن تستعمل السيارة مع سائقها التي خصصتها لها دار النشر؟.

كانت قد رحلت منذ ثلاثة اسابيع لتتأكد من الإقبال على كتابها الأخير، لقد ملت المطارات والفنادق وسيارات الليموزين والمجاملات. بدأت تشعر بحاجة للتمتع بقليل من الحرية، وهكذا قررت ان تذهب بوسائلها الخاصة إلى سان انتونيو حيث ينتظرها موعد هام غداً.

كانت بريانا قد نشأت في ريف بنسلفانيا، ومع ذلك اعجبت كثيراً بتكساس. وعندما علمت أن هذه الولاية ستكون آخر مرحلة في سفرها. اصرت على الذهاب إلى سان انتونيو. منذ مدة طويلة، كانت تحلم بأن تجعل أحداث إحدى قصصها تدور في هذا الإطار الساحر بروح الهيبة والوقار. كانت المدينة القديمة رومنطيقية! والأجمل من ذلك أنها تضم بين جدرانها مؤسسة تكسان الثقافية، التي تقدم لبريانا كل الوثائق الضرورية...

قطع حبل أفكارها فجأة وصول معجبة متحمسة جداً.

«هل أنت حقاً بريانا سان كلير؟».

«نعم...» اجابتها بريانا مبتسمة بلطف.

كانت صورها تملأ جدران المكتبة ومع ذلك لم تكن هذه المرة الأولى التي يطرحون عليها هذا السؤال. كانت الناس مندهشين عندما اكتشفوا أن كاتبتهم المفضلة لا تزال شابة وفاتنة..

«غير معقول!» قالت محدثتها بمزيد من الحماس «احب كثيراً ما تكتبينه! أبطال رواياتك رائعون! ومشاهد الحب... ألا تنفعلين وأنت تقرأيها من جديد؟».

«احياناً...» اجابتها بريانا بصدق محاولةً المحافظة على ابتسامتها.

«كنت متأكدة من ذلك! وكيف لا؟ يوجد فيها الكثير من الانفعالات والأحاسيس...».

انزعجت بريانا كثيراً من كلام محدثتها الحماسي، فحاولت أن تغير موضوع الحديث.

«اتريدين أن اوقع على...».

لكنها للأسف لم تتمكن من إنهاء كلامها.

«أتعلمين أنك تشبهين شخصياتك الإناث؟ وخاصة هذه...» وأشارت بإصبعها إلى المخلوقة المرسومة على غلاف آخر رواية لها.

«هذا مثير حقاً!» ألحت محدثتها «نفس الوجه تماماً، الفم الرقيق، العيون الخضراء، الشعر الأشقر...».

ودون أن تهتم لانزعاج بريانا الظاهر، بدأت تقرأ بصوت مرتفع الملخص الموجود على آخر صفحة من الكتاب..

«الأرض كلها كانت تبدو مشتعلة . . . الشمس تلمع في السماء، الرمال كانت تحترق، وديسموند يضم بحرارة بين ذراعيه جسد ديانا العاري . . . وكانت لشدة سعادتها تتأوه بضعف . . . » تحركت بريانا على مقعدها بتوتر. إذا تابعت محدثتها قراءة النص بهذه اللهجة، فإنها ستبدأ بالصراخ! كما وإن كل الموجودين في المكتبة التفتوا نحوها يراقبونها . . .

«يبدو هذا مثيراً حقاً! أتسمحين بأن توقعي لي على نسخة منها؟» سرت بريانا بهذا الطلب وتمالكت نفسها لكي لا تكتب لها إلى بأن كتبت عبارتها المعتادة «مع كل مشاركتي الوجدانية».

بعد أن ارهقتها الإمرأة بالشكر، ابتعدت بسعادة كبيرة، أسندت بريانا ظهرها جيداً وتنهدت. بالطبع أن يكون المرء كاتب قصص عاطفية ناجحة أمر متعب احياناً!

فجأة، شعرت بأنها مراقبة، فادارت رأسها بسرعة. على بعد خطوات منها، يقف رجل سبق لها أن لاحظته عدة مرات وينظر إليها كأن منظرها يسليه. بالتأكيد لم يكن قد فاته ما جرى بين الكاتبة وبين تلك الإمرأة المبالغة بحماسها.

كان أنيقاً ببدلته الجميلة، وشعره الأسود وجاذبية ملامحه. لم يكن جميلاً حقاً، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، إلا أنه يملك سحراً مدهشاً، وتنبعث منه قوة غريبة . . . وعندما ابتسم، انثنت زوايا عيونه بتجاعيد دقيقة، كان بكل بساطة رجلاً لا يقاوم.

اقترب من الطاولة، وتناول كتاباً تصفحه بحركات آلية.

«لا تقل لي انك انت ايضاً مغرم بقصص الحب!» قالت له بلهجة مضحكة كما كلمتها معجبتها السابقة.

فضحك الرجل، واحست بريانا بالارتعاش، يا إلهي، هذا الرجل يملك جاذبية تجعل الصخر ينفعل!.

وانتظرت ان يتكلم ببعض القلق والإضطراب. وقد لا يخرج من فمه سوى صوت يشبه نعيق الغراب أو يشبه أزيز آلة مزعجة، كانت تعلم أن بعض الأشخاص يفقدون كل سحرهم عندما يفتحون فمهم . . .

«أنا ايضاً، اتمنى ان توقعي لي على نسخة . . . » اجابها أخيراً.

بإمكان أكبر مطربي الكرة الأرضية أن يغيروا مهنتهم! كان صوته عميقاً وعذباً، أرق من المخمل، عذباً مطعماً باللهجة التاكسانية.

تناولت الفتاة نسخة من كتبها بيد مرتجفة.

«ما هو إسمك؟» سألته وهي تتناول قلمها.

«رايدر كنترل . . . ».

رائع! من المستحيل تخيل إسم آخر لشخص مثله . . . فحاولت إخفاء إضطرابها، وكتبت عبارتها المعتادة ووقعت تحتها. ثم ناولته الكتاب وهي تبحث عن شيء ذكي تقوله له. ولكن للأسف، فقدت حيويتها فكرها فجأة، والكلمات التي تتردد في حنجرتها مجنونة جداً «أنت الشخص الأكثر سحراً رأيته في حياتي. اتسمح لي بتقبيلك؟».

بالطبع إذا لفظت هذه الكلمات؛ فإنه اما سيهرب راكضاً

www.elromancia.com

و. . . سيأخذ بكلامها جدياً. وكلا الأحتماليَن سخيفين محرجين.

«زهرة الرمال. . .» تمتم وهو يقرأ عنوان الكتاب. وتأمل صورة البطلة الموجودة على الغلاف، ثم تأمل بريانا طويلاً.

«إنها حقاً تشبهك. . .» أضاف مبتسماً.

أحست بريانا بأن خديها يشتعلان.

«بالفعل. . .» اجابته متلعثمة «لقد استلهم الرسام من ملامح وجهي في رسم الصورة» وسكتت ولم تضف بإن الباقي كان من خيال الفنان. وكان رايدر كنترل لطيفاً فلم يعلق أكثر على الموضوع إلا أن البريق الذي لمع في عيونه كان كافياً. . .

«حسناً. . . اعتقد أنني سأسهر هذه الليلة على قراءة روايتك هذه كلها».

«اتمنى ان تعجبك».

«أنا متأكد من ذلك».

وساد صمت ثقيل بينهما. ولكي تتمالك نفسها، أخذت بريانا توقع آخر نسخات أمامها على الطاولة.

«لقد حصلت على عدة نجاحات».

«نعم، هذه الرواية نجحت بشكل مميز».

«ألم يكن الأمر كذلك دائماً؟» سألها بفضول. فضحكت بريانا بمرح.

«الآن، بلى! ولكن كان يجب ان تراني منذ بعض الوقت، لم اكن قادرة على التخلص من كتبي، حتى ولو

www.elromancia.com

وزعتها مجاناً!».

«لا استطيع تصديق ذلك. . .».

«إنها الحقيقة، لم اكن املك دعم الفريق الذي يحيط بي الآن. كان يجب علي أن اقوم بنفسي بالدعاية لرواياتي وتنظيم عدداً من احتفالات التواقيع. وعندما كنت اصل الى المكتبات، كان الناس ينظرون إلي وكأنني وقعت فجأة من الكوكب مارس. واعترف أنني احياناً، كنت أشعر بأنني نوع من المخلوقات الغير أرضية ضاعت وسط الصحراء!».

«ألم يخطر ببال أحد أن ينقذ هذه المخلوقة المارسية؟ هذا ليس. . .».

لم تتمكن من اجابته، لأن إحدى القارئات اقتربت منها وطلبت منها ان توقع لها على نسخة من زهرة الرمال. ابتعد رايدر كنترل بينما اجابت بريانا بلطفها المعتاد على أسئلة محدثتها الجديدة، وبعد قليل، شكرتها وضمت الرواية جيداً تحت إبطها كأنها تحمل كنزاً وخرجت.

وضعت بريانا قلمها في حقيبة يدها، ونهضت.

«هل انتهيت؟» سألها رايدر وهو يقترب منها.

«نعم. . .».

«هل تناولت غداءك؟».

احست الفتاة بتسارع دقات قلبها. كانت تذكر أنها وضعت مثل هذا المشهد في كتبها. ولكنها لم تعشه واقعياً. ماذا كانت تفعل بطلات قصصها، في مثل هذه الحالات؟ كن يبتسمن، بكل بساطة ويجبن.

«لا. . .».

«اتريدين مرافقتي؟».

اضطرت لتمالك نفسها كي لا تقفز من فرحها. كانت ترغب بالتعرف أكثر على هذا الرجل! لو لم يدعوها، لكانت ماتت من الخيبة.

«حسناً!» اجابته بعد تردد شكلي «وبما انني غريبة عن دالاس، سأترك لك حرية اختيار المطعم».

«عظيم... المكان الذي افكر به قريب جداً من هنا. بإمكاننا الذهاب مشياً على الأقدام لنصل إليه».

في الخارج، كانت الأمطار قد توقفت، وظهرت أشعة الشمس خجولة بين الغيوم. هذا اليوم ينبؤ بانفراجات. فكرت بريانا بحماس طفولي.

كان المطعم الذي اصطحبها إليه يشبه تماماً ما تخيلته عن ذوق رفيقها. هادىء، شاعري وحميم... جلسا حول طاولة صغيرة وطلبا المقبلات. وكانت عضلات بريانا كلها متقلصة بعد الجلوس طويلاً في تلك المكتبة، وكتفاها يؤلمانها، فتنهدت بعمق وهي تسند ظهرها على الكرسي.

«انت متعبة؟» سألها رايدر بلطف. وتأملها بنظرات عميقة وانفرجت شفتاه بابتسامة صغيرة.

«جداً...» اجابته وردت إليه ابتسامته.

«هل مضى وقت طويل في حملتك الإعلانية هذه؟».

«منذ بداية الشهر...».

في هذه اللحظة اقترب الخادم ووضع المقبلات أمامهما على الطاولة، فصمت كلاهما قليلاً.

«أحقاً انت تُدعين بريانا سان كلير، أم أن هذا إسم

الشهرة؟».

«إنه إسمي الحقيقي...».

والتقت نظراتهما كأن كلا منهما يحاول أن يخترق فكر الآخر. وكانت عيون رايدر كنترل زرقاء غامقة تشع بالجاذبية.

«أنا أجده إسماً جميلاً جداً» همس رايدر بحنان.

ارتعشت الفتاة، «انه يحاول إغرائي، أنا مدركة جداً لخططه، ولكن هذا لا يخيفني، بل على العكس...».

«اين تعيشين، بريانا؟».

يا إلهي! إن الطريقة التي يلفظ بها إسمي غريبة! كيف ستقاوم كل هذه الرقة والعذوبة في صوته؟.

«في بنسلفانيا؛ مدينة صغيرة قرب بيتسبرغ».

«أوه، انت إذاً بعيدة جداً عن منزلك...».

هذه اللحظة كانت رائعة، حلم... ابداً لم يسبق لها أن عرفت في حياتها شيئاً مربكاً كهذا...

«أيوجد أحد ينتظرك هناك؟» سألها بهدوء.

«هرة فقط!» اجابته ضاحكة «ولكني لست متأكدة... تركتها عند اختي، لا بد إنها سعيدة مع أولاد اختي الثلاثة الأشقياء. وقد تكون نسيتني تماماً...».

شرب رايدر جرعة من كأسه وهو يتأمل رفيقته.

«لا، من المؤكد إنه يوجد هناك شخص آخر غيرها. كم عمرك، بريانا؟ أنا وعشرون عاماً؟».

«بل سبعة وعشرون... واكرر لك، هذه الهرة هي الوحيدة التي تنتظرني هناك».

www.elromancia.com

«هل رجال بنسلفانيا مكفوفي النظر أم أنهم أغبياء؟».

«لا هذا ولا ذاك» اجابته ببعض الإنزعاج «انني انا من لا يهتم بهم كثيرا. . .».

«حقاً؟».

«ولماذا انت مندهش هكذا؟».

«حسناً، كنت اتخيل انك بكتابتك قصص الحب، تملكين بعض الخبرة. . .».

تحركت بريانا بتوتر على مقعدها. إن رفيقها لمس نقطة حساسة جداً.

«أيجب بالضرورة أن يكون كتّاب الروايات البوليسية إما مجرمين وإما جواسيس؟» سألته بسخرية.

«اتحاولين ان تقولي لي بانك بيضاء كالثلج؟».

فاخفضت نظرها، واحمر خداها.

«لا، ولكن. . .».

«هذا افضل! انت طمأنتني. . .».

وخلال لحظات طويلة، ظلا صامتين. وبدأت بريانا تتساءل إذا كانت قد ارتكبت خطأ بقبولها دعوته على الغداء. قد لا يكون رايدر كنترل مختلفاً عن الرجال الآخرين. . .

فجأة، امسك رايدر يدها.

«هل انت غاضبة مني؟» سألها بهمس «إذا كانت كلماتي ازعجتك فأنا اعتذر».

عاد الأمل من جديد يدفء قلب بريانا. حتى ولو كان هذا الرجل يحكم بطريقة خاطئة على كتاب الروايات

العاطفية، فعلى الأقل، يبدو ذكي ورقيقاً لدرجة الإعتذار.

فهزت كتفيها.

«هذا ليس خطيراً. . .».

«هذا أفضل! لأنني كنت سأتأسف كثيراً لو افسدت هذه اللحظات اللذيذة. . .».

اقترب منهما مدير المطعم، وأخذ طلباتهما وبعد نصيحته، اختار الإثنان لحم البقر المشوي مع سلطة الخضار.

«منذ متى وانت تكتبين بريانا؟» سألها رايدر بعد أن اصبحا وحدهما من جديد.

«منذ مدة طويلة» اجابته بمرح «عندما كنت في العاشرة من عمري، كتبت شعراً نشرته إحدى المجلات».

«ومتى اصبحت كاتبة ممتهنة حقيقية؟».

«منذ سبعة أعوام، بعد أن نشرت كتابي الأول».

«كنت صغيرة جداً. . .».

«ولا أزال!» اجابته ممازحة.

فابتسم رايدر بحنان غريب، ثم تابع بعد صمت قصير.

«كيف تعثرين على شخصيات رواياتك؟ هل تستوحينهم من بين الناس المحيطين بك؟».

«احياناً. . .».

«وكيف يتصرفون؟ أتخيل أن صورهم لا تكون دائماً مغرية. . .».

فكرت بريانا قليلاً قبل أن تجيبه. كان رايدر يبدو مهتماً حقاً بما تفعله، وفضوله واهتمامه أثرا فيها. قد يكون يفكر

www.elromancia.com

هو أيضاً بالكتابة، وقد يكون بحاجة لبعض النصائح. وكانت بريانا منذ ان بدأت تعرف النجاح، تحاول مساعدة كل أصحاب المواهب الجديدة.

«حسناً، عندما نرغب بتهزئة شخص، نحاول ان نجعله سيئاً. نغير الإسم، الشكل الخارجي، واحياناً الجنس، ونحتفظ فقط بخصائصه الخلقية المميزة له».

- ٢ -

«هل سبق أن اتبعت هذه الطريقة؟».

«نعم... مثلاً، في رواية زهرة الرمال، استوحيت شخصية البطل الرئيسي من شخصية الرئيس الجديد للشركة التي يعمل فيها والدي. كان هذا الرجل يركض دائماً خلف التنانير والسيقان».

ثم هزت كتفيها واضافت باحتقار «لقد حاول إغرائي، ولم يتردد في التحرش بوالدتي! طبعاً، نحن لم نخبر والدي بشيء كي لا نثير الفضائح. كان غبياً لدرجة انه فقد وظيفته بعد أشهر قليلة ومع ذلك، قررت الانتقام منه. في روايتي. صورت هذا الرجل على أنه صاحب حانة مشهور جداً، ومعرف بإنه من حثالة الإنسانية...».

«لكن انتقامك لم يكن ينقصه...».

www.elromancia.com

«شكراً، مع أنني نادراً ما اهتم بهذا النوع من تصفية الحسابات، افضل أن اعيش في عالم خيالية صاف».

«وأنا؟» سألها فجأة بابتسامة خفيفة «هل سأعرف نفسي ذات يوم من إحدى رواياتك؟».

فتأملته ولمعت عيونها بمكر.

«لما لا؟ بإمكانك ان تكون بطلاً مناسباً».

«بهذه الحالة، أفضل أن العب دوراً شريراً. هذا أكثر إثارة».

«انت محق، فالكاتب يمل احياناً من الشخصيات الطيبة!».

«إذاً، اتفقنا؟ سأكون امرأ ير شريف؟».

«اتفقنا!».

وضحكا معاً، وفكرت بريانا بانقباض صغير في قلبها بأنها لم يسبق لها أن احست بهذا القرب مع أحد ما من قبل وحتى الآن، لم يكونا قد تكلما سوى عنها وعن نشاطاتها الأدبية.

اقترب خادم ووضع امامهما الطبق الذي طلباه، لحم العجل المشوي وطبقين من سلطة الخضار. وسرا الإثنان باختيارهما لهذا الطعام، وبانتظار وصول الحلوى، تلفتت بريانا حولها، هذا المكان يعجبها كثيراً...

«انت صامتة، فجأة...» قال لها رايدر.

«انا اتمتع بلحظات الهدوء هذه».

«هل اضجرتك بأسئلتي؟».

«لا، ابداً! انا سعيدة فقط لأن جولتي اوشكت على

نهايتها».

«هل ستكون دالاس آخر مرحلة فيها؟».

«انهم بانتظاري في سان انطونيو».

فانتفض رايدر وتأملها بنظرات غريبة.

«هناك أنا اسكن» همس وأمسك يدها.

«أوه، حقاً؟» سألته متلعثمة واخذ قلبها يدق بسرعة «و... هل انت متزوج؟».

وحاولت من خلال سؤالها ان لا تظهر فضولها.

«انا مطلق».

احست بريانا فجأة بكره لتلك الإمرأة التي شاركت حياة رايدر كنترل فترة من الزمن. يا إلهي، ماذا يحصل لي؟ انا اعرف هذا الرجل منذ ساعات قليلة فقط...

«أانت هنا من اجل العمل؟» سألته وهي تحاول إخفاء ارتباكها.

«نعم، تقريباً، سأعود بعد يومين أو ثلاثة على الأكثر» ثم سكت لحظة، وأضاف بصوت عذب.

«ماذا ستفعلين بعد ظهر هذا اليوم؟».

«سأتابع توقيع كتابي».

«اين؟».

«في مركز تجاري في طرف المدينة».

«بهذه الحالة، اسمحي لي أن اوصلك، لا تقلقي، سأعيدك بعد ذلك إلى فندقك، اين تنزلين؟».

«في الشيراتون».

«رائع! إذاً اتفقنا؟».

«نعم. . .» اجابته بصوت منخفض، وخشيت أن يفهم جوابها بطريقة خاطئة. ولكن ماذا يهم؟ الآن، امنيتها الوحيدة أن لا تترك رايدر.

لشدة انفعالاتهما، لم ينهيا طبق الحلوى، ونهضا ليخرجا، وعندما وضع رايدر يده حول كتفيها ليرشدها نحو الباب. ارتبكت بريانا كثيراً وخافت أن تتعثر. هذه اليد الناعمة الدافئة أكثر احراقاً من أية شعلة. . .

في الشارع، احست فجأة بالذهول «يا إلهي، ماذا يحصل لي؟ أنا لا اعرف نفسي. . .» فكرت بقلق فهي لم تكن معتادة على اللحاق بأول رجل تتعرف عليه، ماذا تعرف هي عن هذا الرجل؟ لا تعرف شيئاً باستثناء انه يجذبها بقوة كبيرة. . .

«أوه، توقفي عن طرح الأسئلة!» أنبت بريانا نفسها بصمت، «لمرة واحدة في حياتك، ألا يمكنك ان تكوني أكثر بساطة؟ لبي نداء رغبتك، استغلي هذه اللحظات دون أن تفكري بالغد. . .»

عندما فتح رايدر لها باب سيارته، دخلتها بدون أي تردد، فلتذهب المخاوف والحذر إلى الجحيم! اليوم! هي ترغب بأن تكون مجنونة، بأن تعيش! في رواياتها، هي تخلق دائماً فتيات متحررات، لا يبالين بالتقاليد. فلماذا لا تفعل مثلهن، لماذا لا تسمح لنفسها بمغامرة يدق لها قلبها بعنف؟.

«انت مستعدة؟» سألها رايدر قبل أن يدير محرك سيارته.

«نعم» اجابته بمرح.

ظل رايدر إلى جانبها طوال جلسة التوقيعات. يراقب باهتمام كبير القارئات اللواتي جئن لتهنئة كاتبتهم المفضلة، ويستمع باهتمام أكبر لأجوبة بريانا على أسئلتهن.

في نهاية فترة بعد الظهر، شكرت صاحبة المكتبة الكاتبة الشابة بحرارة كبيرة.

«متى تعتقدين أنك ستنشرين روايتك القادمة؟» سألتها صاحبة المكتبة «سمعت أنها ستصدر في نهاية شهر حزيران، أليس كذلك؟».

«بالفعل، أنه التاريخ المحدد. اصبحت على وشك الأنتهاء منها. . .».

هذا أفضل! سأقول ذلك لزبائني الذين سيكونون سعداء، لديك الكثير من المعجبين في مدينتنا، آنسة سان كليرا».

كانت صاحبة المكتبة تنظر كثيراً بطرف عينها إلى رايدر الذي ابتعد وفضل أن ينتظر بريانا أمام الباب. يبدو انها كانت تتساءل من هو هذا الرجل الفاتن، واي دور يلعب في حياة كاتبة الروايات العاطفية هذه. . .

لم ترغب بريانا بتعريفهما على بعض، فمدت يدها نحو محدثتها ثم ودعتها وانضمت إلى رايدر في الخارج. وعندما وصلا إلى السيارة، جلست بريانا أسندت رأسها إلى الخلف واغمضت عيونها. الإبتسام الدائم والظهور، بشكل لائق مع عشرات الناس ولمدة ساعات طويلة كان هذا عملاً شاقاً بالنسبة لها.

«ألا يزال لديك عدد كبير من هذه الأعمال؟» سألها

رايدر بلطف.

«بالنسبة لدالاس، كانت هذه الأخيرة لحسن الحظ. ولكن في سان انطونيو ستكون بانتظاري جلستان للتوقيعات».

«انت متعبة جداً. عندما تنهي جولتك، اتفكرين بمنح نفسك فترة من الراحة، أم تفضلين العودة إلى منزلك للانغماس برواياتك الجديدة؟».

التفتت بريانا نحوه، وعيونها نصف مقفلة، وتأملته وهي تفكر.

«أنوي البقاء قليلاً للراحة في سان انطونيو...».

لم يبدِ رايدر أي تعليق، ولكن البريق الساخر الذي لمع في عيونه كان غريباً. بماذا يفكر؟ ايعتقد انها قررت البقاء في سان انطونيو أياماً قليلة فقط لأنه يقيم في هذه المدينة؟.

«يجب أن اقوم ببعض الأبحاث» حددت كلامها بسرعة. فارتسمت ابتسامة على شفتي رايدر «الخبيث!» فكرت بريانا بغضب «ألانني كاتبة قصص عاطفية، يعتبرني إمرأة مغامرة أبحث عن المشاعر القوية لكي اغذي بها وحيي؟ أهو رجل كغيره من الرجال الذين التقيت بهم في حياتي؟».

«أهي أبحاث من أجل كتابك القادم؟» سألها رايدر أخيراً.

كان صوته عذباً لدرجة أن غضب بريانا تبدد بسرعة. قد تكون أخطأت في تفسير نواياه. على كل حال، قلما يهمها

ذلك. ألم تقرر أن تتبع غريزتها دون طرح أسئلة لا اهمية لها؟.

«نعم...».

«ما هو موضوع الكتاب؟».

«للحقيقة، حتى الآن، انا نفسي لا اعلم».

«ألا تريدين اخباري؟» سألها ضاحكاً «اتخافين أن أسرق فكرتك؟».

«لا بالتأكيد! من الصعب علي أن اتكلم عن رواية قبل أن اضع لها تصميماً محدداً. انا بحاجة أولاً لبعض الدرس، والتوثيق...».

«الدرس والتوثيق؟» سألها مندهشاً.

«طبعاً! هل نسيت أن رواياتي تدور بإطار تاريخي؟ أنا لا اخترع شيئاً، تصور! بعد أن اختار العصر، احتاج للاستعلام عن طريقة حياة الناس، عاداتهم، وأطعمتهم وأفكارهم وأهوائهم... باختصار، أحاول ان اتصور كل العناصر التي تؤلف وجودهم».

«وبعد ذلك، تبدأين بالكتابة».

«تماماً».

«كم تستغرقين في كتابة الرواية؟».

«احياناً سنة كاملة».

«حقاً؟» سألها بدهشة أكبر «يقال بأن بعض الكتّاب ينهون كتاباً في اسابيع قليلة».

عندئذ. عادت بريانا لطبيعتها الحذرة.

«إذا كنت تريد لصداقتنا أن تستمر، فارجوك أن لا تمزح

www.elromancia.com

بيني وبين الآخرين! أنا لست متاجرة بالأدب، لكنني أحاول ان امنح قرائي بعض الفرح. وهذا يتطلب طاقة كبيرة، وساعات طويلة اقضيها أمام اوراقي البيضاء».

ضحك رايدر.

«حسناً، يا له من حماس فني! أعدك بأن لا اقارنك ابداً مع أي كان. . .» ثم تأملها بمرح وأضاف: «على كل حال، أنا اشك بأن هذا ممكن. من المحتمل ان لا يكون هناك شخص آخر يشبهك على هذا الكوكب».

«شكراً. . . بالتأكيد لا يوجد».

«لا يمكن القول انك تنقصك الثقة بالنفس!» اجابها ممازحاً.

«انا لست واثقة جداً من نفسي كما يظهر» اعترفت مبتسمة «بكل بساطة، جهل الناس حول مهنة الرومنس تشعرني احياناً بالغضب» فأمسك يدها من جديد وقبل أطراف أصابعها بحنان، دون أن يرفع نظره عن الطريق.

«اعذريني. . .».

وعندما لم تجبه، وكانت مرتبكة جداً لدرجة عدم تمكنها من النطق، فأضاف بصوته العذب الهادىء.

«هل انت مستعجلة على العودة إلى فندقك؟».

«لا. . .» اجابته متلعثمة وهي تحاول ان تتمالك دقات قلبها.

«إذاً، انا اقترح عليك أن نقوم بنزهة صغيرة في السيارة، فأنا اعرف مكاناً جميلاً، ليس بعيداً عن هنا».

«يبدو لي أن هذه فكرة جيدة!» اجابته بعد أن جمعت

بعض قوتها فلمعت عيون رايدر من جديد. . .

خلال الطريق استرخت بريانا وقد هدهدها هدير المحرك، وشعرت بأنها تطير على غيمة تسبح في الفضاء، إلى جانب رجل صامت وحنون.

كانت تشعر بأنها بأفضل حال ولدرجة أنها لم تتحرك عندما أوقف رايدر السيارة، لم تكن ترغب بقطع سحر هذه اللحظات. . .

«استيقظي، أيتها الأميرة النائمة. . .» همس رايدر «لقد وصلنا. . .».

وداعب خدها بلطف، وعندما فتحت عينيها، لاحظت أنه اقترب منها وينظر إليها نظرات عميقة.

«أين نحن؟».

«وهل هذا مهم؟» سألها مبتسماً.

«لا. . .» اجابته بصدق.

لم يجبها رايدر، واكتفى بتأمل وجه رفيقته الجميل، عيونها الرائعة ولونها الأخضر المشع، وجبينها المرتفع، وانفها الصغير المستقيم، وشفاهها المرسومة برقة بالغة.

وعندما انحنى نحوها، احست بريانا بأن قلبها سيتوقف عن النبض، كانت تنتظر هذه اللحظة منذ أول النهار. . . وتخطى ذلك كل أحلامها وأكثرها جنوناً، لم يسبق لقبلة أن جعلتها تنهار بهذا الشكل. وهذا وكأن جسد رايدر وجسدها قد خلقا الواحد من أجل الآخر. . .

عندما ابتعد عنها كانت عيونه تلمع ببريق عميق، هل انفعل أيضاً بشكل تام مثلها؟ فجأة أضاء وجهه من جديد.

www.elromancia.com

«عندما افكر أنني اصطحبك إلى هنا كي تسترخي قليلاً. . .».

إمتنت له بريانا لأنه تكلم بمرح وبدد الارتباك الذي يسود بينهما.

«وإذا قلت لك أنني أشعر بالاسترخاء؟» اجابته بدلال.

«انا لا اصدقك. . .».

تأثرت بريانا باندفاع لا يقاوم. فداعبت شعره الأسود بحنان.

«انت محق، رايدر. . .» اعترفت بصوت مرتجف.

فامسك يدها ورفعها إلى شفتيه.

«اهكذا يفعل أبطال رواياتك؟» همس وهو يقبل بشفتيه الحارتين راحة يدها.

«نعم. . .» اجابته وتنهدت «ولكن. . . ألم تكن تريد أن تلعب دوراً شريراً؟» أضافت ممازحة.

«بالفعل» اجابها بابتسامته الصغيرة الساخرة «ومع ذلك لا يخلو الأشرار الذين من نوعي من الأحاسيس. مثلاً، رغم سوداوية روحهم، ألا يمكنهم أن يرغبوا بالبطلة بصدق؟».

فتأملته بدهشة، واحست بأن كلام رايدر له معنى آخر، وكأنه يريد إرغامها بلهجة المزاح بأن تفهم شيئاً. . .

«انت رومنسية» أضاف بحدة مفاجئة «انت لا تجهلين إذاً أنه هناك عدة أنواع من الأبطال، ملائكة وشياطين، واحياناً من الصعب جداً التميز بينهم. . .».

لم تجبه بريانا واكتفت بأن هزت رأسها موافقة.

«حسناً.» قال لها مبتسماً «ما رأيك لو نخرج من هذه السيارة؟ انظري خلف هذه الأشجار يقع فندق قديم ورائع. أنه أحد الأمكنة السياحية في دالاس، انا متأكد أنه سيعجبك، هل انت جائعة؟».

«ابداً» اجابته وهي تنزل من السيارة «لا تقل لي أنك تفكر بالطعام بعد الغداء الذي تناولناه!».

«ولكن بلى! انا لم يكتمل نموي بعد، تصوري!».

«وكم عمرك، يا صغيري؟» سألته ممازحة.

«انا في السابعة والثلاثين. هل أبدو مسناً؟».

للحقيقة، كان يربكها بأسئلته وبتغير لجهته السريع المفاجىء.

«حسناً بالنسبة لماذا؟».

«كي الاحق فتاة مثلك. . .».

استحسنت بريانا هذه اللعبة، فارادت ان ترد له المزاح.

«كل شيء يتوقف على ما تفعله بها عندما تمسكها!».

«أشياء مرعبة، طبعاً» اجابها بمكر.

فقهقهت ضاحكة وتبعته في الممر المؤدي إلى بناء كبير رائع في هندسته. في الداخل كان يسود جو لطيف اعجب بريانا فوراً. كان تعبد الماضي والتراث. وديكور الصالة الكبيرة لم يكن قد احدث فيه أي تغيير منذ القرن الماضي، السقف المرتفع الذي تتدلى منه ثريات ضخمة، اللوحات القديمة الحية التي تزين الجدران.

«هل اعجبك هذا المكان؟» سألها رايدر وهو يقودها إلى طاولة مغطاة بشرشف ناصع البياض.

www.elromancia.com

«أنه رائع!» اجابته بابتسامة مشرقة.

قدم لها كرسياً، وجلس قبالتها.

«يبدو أن غرف هذا الفندق رائعة» قال لها فجأة «لا يمكنك أن تغادري تكساس دون أن تنامي فيه ولو لليلة واحدة على الأقل...».

- ٢ -

كاد قلب بريانا يتوقف بين ضلوعها، بماذا تجيب بطلات رواياتها في هكذا حالة؟ انها عادة تصورهن سريعات البديهة، فلماذا هي إذاً غير قادرة على إيجاد إحدى هذه الأجوبة التي تزيد عناصر التشويق؟ لحسن الحظ لم تتأخر في إمعان فكرها كثيراً.

«طبعاً» تابع رايدر بقليل من السخرية «يجب أن تحجزي هنا قبل أسابيع مقدماً...».

«نعم، اتصور ذلك...» وهنأت نفسها لتمكنها من النطق بصوتٍ طبيعي رغم الانفعالات المتناقضة التي تجيش في صدرها إثارة، ارتياح، خيبة...

لم تكن تفهم جيداً أي لعبة يلعبها رايدر. إذا كان يرغب بقضاء الليلة معها، لماذا لا يظهر نواياه بشكل مباشر؟ وإذا

www.elromancia.com

لم يكن هذا حاله، فلماذا هذه التلميحات الغير ضرورية؟ مهما كان الأمر، فهي لا تنوي القيام بالمبادرة! طبعاً، هي قررت ان تتخلى عن الحذر العادي، ولكن لا يجب عليها ان تتخلى عن كل طبيعتها المتحفظة!.

فكرت فجأة، أنها منذ الصباح، لم تجد فرصة لترتيب زينتها. يا إلهي، لا بد أن شكلي اصبح مخيفاً! وكأنها كانت تجلس على راسور نهضت بسرعة، واستأذنت رفيقها لدقائق قليلة، واتجهت بسرعة نحو الحمامات. كانت ترغب ايضاً بالابتعاد عن رايدر قليلاً لكي تنظم افكارها بعيداً عن تأثير جاذبيته.

عندما عادت إلى الطاولة، وجدت إنه قد طلب الطعام، وعلى الطاولة طبقين من اللحم والأرز والبطاطا والفوصوليا الخضراء.

«هذا الطبق يكفي لإشباع تنين!» قالت بدهشة وهي تتأمل طبقها «لا يمكنني ابداً أن ابتلعه كله!».

«بالتأكيد نعم!» اجابها بهدوء.

الغريب بالأمر، أنه كان على حق.. فاللحم والخضار كان شهياً لدرجة أن بريانا انهت طبقها. بينما رايدر كان يأكل ويشرب بشهية غريبة.

وعندما غادرا المطعم واتجها نحو السيارة. تنهدت بريانا وقالت له.

«الأفضل ان لا يكلمني أحد عن الطعام خلال أسبوع كامل!».

«بصراحة، انا ايضاً لم اعد قادراً على ابتلاع شيء»

اجابها وهو يمسك كتفيها بهدوء، وأضاف: «يجب أن نتبع نظام حمية صارم، ولكن هذا ليس مهماً! كان الطعام لذيذاً» وانفجر ضاحكين كطفلين صغيرين...

كان الوقت متأخراً عندما وصلا إلى فندق الشيراتون حيث تنزل بريانا. وبدل أن يتوقف رايدر أمام الفندق لينزل رفيقته، دخل فوراً موقف السيارات الخاص بنزلاء الفندق.

ارتعشت الفتاة، واحست بالدوار، وكأن الأرض بدأت تدور بسرعة حول محورها. هذا النهار لم يكن يشبه أي يوم من أيام حياتها، إنها بعيدة جداً عن منزلها، وبرفقة رجل بالكاد تعرفه... وبدأت تتساءل إذا لم تكن قد ارتكبت خطأ جسيماً بقبول دعوته لها على العشاء...

توقف رايدر، ونزل وفتح لها الباب. فخرجت بدورها مع أن ساقيها كانتا ترتجفان. لم يمد يداً لمساعدتها. ظل واقفاً يراقبها جيداً، يا إلهي، كم يبدو فجأة بارداً وقاسياً...

الخوف ظهر واضحاً على وجه الفتاة، لأن ملامح رايدر قست بسرعة.

«ألن تقدمي لي كأساً أخيراً؟» سألها بلطف.

فتأملته لحظة دون أن تجيب، إن شخصية هذا الرجل قوية جداً، إنه يمر في القسوة المطلقة إلى الحنان الذي لا حدود له بسرعة غريبة.

«حسناً...».

اتجها نحو المصعد، ووصلا بصمت إلى الطابق الذي توجد فيه غرفة بريانا، وكانت الفتاة مشغولة جداً في

www.elromancia.com

محاولتها للسيطرة على توترها الشديد. ومن المدهش أنها نجحت في فتح الباب بدون صعوبة. حتى أن يدها لم تكن ترتجف وهي تدخل المفتاح في قفل الباب، تماماً وكأنها معتادة على استقبال مئات العشاق في غرفتها، فكرت بدهشة وهي تسخر من نفسها، ثم سبقت رفيقها ورمت حقيبة يدها وجاكيتتها على الكنبة، واقتربت من الهاتف.

«ماذا تريد أن تشرب؟» سألته وهي تطلب رقم الأستعلامات.

«ويسكي، لو سمحت...».

أما بالنسبة لها، فقد طلبت القهوة. كانت ترغب بالحفاظ على وضوح أفكارها... ثم انضمت إلى رايدر الذي جلس على الكنبة. ظل الإثنان صامتين لحظات طويلة، واحست بريانا بالخوف من جديد. ماذا يحصل لها؟ لقد ضحكا معاً طوال النهار... لماذا هذا الخوف المفاجىء؟.

«انت... انت تعيش منذ مدة طويلة في سان انطونيو؟» سألته متلعثمة، وارادت بذلك أن تجبر رايدر على الخروج عن صمته.

«نعم».

«أكان هذا اختياراً؟».

نعم، سان انطونيو أجمل مدينة في تكساس».

وصمت من جديد. يبدو أن خطتها لم تسر جيداً! فحاولت أن تفتح موضوعاً آخر!.

«وماذا تفعل انت؟ اقصد ما هي مهنتك؟».

انتفض رايدر، وشعرت بريانا أن هذا السؤال ازعجه... لكنه تمالك نفسه بسرعة واجاب بشرود.

«انا اهتم قليلاً بالعقارات...».

بهذه اللحظة، دق الباب، فاسرعت الفتاة تفتحه وهي تتساءل، لماذا لا تدعو الخادم لشرب كأس معهما؟ فهذا قد يشجعهما على الكلام.

بعد خروج الخادم، عادت بريانا للجلوس إلى جانب رفيقها، وهي تتوسل إلى السماء كي يجعله الخمر أكثر ميلاً للثرثرة. يبدو أن الخادم فكر بكل شيء، لقد وضع على صينية فضية كأسين من الكريستال، وزجاجة ويسكي، ووعاء ثلج، وإبريق قهوة وفنجانين مع سكرية وطبق من الكريما...

«اترغب بقليل من القهوة؟» سألته بريانا أخيراً «يوجد ما يكفي لإثنين».

«لا شكراً» اجابها وهو يسكب كأساً لنفسه «وانت اتريدين القليل من الويسكي؟» سألها وهو يشير إلى الزجاجة. ثم ضحك فجأة، وكأنه يسخر من نفسه، فضحكت بريانا.

كانا يبدوان سخيفين تماماً، يجلسان على الكنبة متقاربين ويتبادلان السخافات!

«لا شكراً، لا اريد أن اشرب الكحول» اجابته بمرح.

جلس رايدر جيداً ومد ذراعه على ظهر الكرسي، هيا، يبدو أن السهرة لم تفسد تماماً.

«اين تفكري أن تقيمي في سان انطونيو؟» سألها بمودة.

«أنوي استئجار مكان خاص بي أثناء إقامتي، لقد مللت الفنادق...».

«نعم، انا افهمك، عندما نمضي أسابيع في غرفة كهذه، فاخرة لكنها غير خاصة، نتمنى أن نتناول سندويشاً أمام شاشة التليفزيون بهدوء أو نتمشى بمشاية خفيفة في الصالون الفوضوي...».

«بالفعل!» اجابته بابتسامة مشرقة «بما أنني سأقضي فترة شهر تقريباً في سان انطونيو. فأنا افضل ايجاد شقة أو منزل صغير...».

ثم سكتت لتشرب رشفة من قهوتها قبل أن تتابع بمرح.

«لقد اخبرتني انك تهتم بالمقاولات؟ قد يكون بإمكانك أن...».

«انا لا اتعامل بتأجير المنازل» قاطعها بشكل مفاجيء.

بدا على رايدر أنه يرغب بأن يعتذر عن تصرفه الغريب هذا، فأضاف «ومع ذلك، اعرف شخصاً بإمكانه مساعدتك، في أي فندق ستنزلين في سان انطونيو، بانتظار ذلك؟ سأرسله إليك...».

«لقد حجزت لي غرفة في الماريوت».

«فكرة جيدة! انه فندق قريب من الباسيوديل ريو».

«سأترك لك متعة اكتشافه، اعلمي فقط أنه من أفضل اماكن سان انطونيو السياحية».

«اتحتفظ مدينتك بكنوز كثيرة!» سألته بابتسامة مشرقة

«انا متأكد انك ستحبينها كثيراً».

«نعم، بدون شك...».

وكأن قوة كبيرة تدفعه، اقترب منها فجأة، وامسك كتفيها بهدوء، وداعب شعرها بشفتيه.

«شعرك رائع...» همس بإذنها. «ورائحته مثيرة... أنه حديقة أزهار ربيعية» اغمضت بريانا عينيها، وقلبها يدق بسرعة.

«جلدك ناعم...» أضاف متنهداً وهو يداعب خدها.

وببطء وهدوء، انحنى نحوها، عندما احست بريان بأنفاسه الدافئة على شفتيها. شعرت بأن الدم يشتعل في عروقها واعترتها رعشة قوية...

ثم ضمها اليه وقبلها بحرارة قوية، ولشدة انفعالها، اقتربت منه ايضاً، واستجابت لقبلته بحرارة أكبر.

ارتجفت يدا رايدر قليلاً وهو يفك أزرار ثوبها... لم تتحرك، ولم تقم بأية حركة لمنعه. كانت تنتظر، ترتعش، وتستعد للاستسلام...

كانت نظراته مليئة بالرغبة وهو يتأمل نصف جسدها الأعلى العاري، بينما كانت ساقاها رشيقتين ناعمتين تحت أصابعه... وفجأة، وكأنه اراد ان يشكرها على كونها جميلة جداً، امسك يدها، وقبل معصمها الذي ينبض بسرعة.

لشدة تأثرها، جذبته نحوها من جديد، وداعبت شعره، ثم بدأت تفك أزرار قميصه، يا إلهي، كم هي متوترة، إن اصابعها لا تطيعها ابداً... «ساعدني» توسلت إليه بصمت «وفر علي هذا العذاب، حباً بالسماء...».

وكأنه سمع توسلها، تخلص من قميصه بسرعة، ثم

تنهد، ومدد بريانا على الكنبة، وعندما عاد لضمها من جديد، ادركت أنها ضاعت. . . وقربت نفسها منه من جديد، واستسلمت تماماً للمسانه. لم يعد هناك وجود أي شيء، كل العالم كان قد اختفى أمام رغبتهما، لم يكونا يسمعان سوى خفقات قلبيهما، وقد اتحدت شفتاهما في قبلة لا نهاية لها. . .

بالطبع، هي تعرف رايدر منذ ساعات قليلة فقط. وتجهل كل شيء عنه، غداً، قد تندم كثيراً لأنها وهبت نفسها هكذا لهذا المجهول. كانت دائماً تشعر بأن أول عشيق لها سيكون الوحيد في حياتها. . . فهل التقت أخيراً بالرجل المثالي الذي كانت تحلم به منذ سنوات طويلة، والذي ستمنحه قلبها وروحها؟ ايكون هو رايدر؟ أوه، كل هذا ليس له أية اهمية. . .

«توقفي طالما إنه لا يزال هناك وقت لذلك» همس صوت حاد من اعماق وعيها «انتبهي، هذا الرجل غريب، سيُبكيك كثيراً. . .».

لكنها تجاهلت هذا الصوت، ايمكن اتباع صوت العقل عندما يلتهمك الجوع والظمأ، عندما يحرق الروح والجسد بنيران الرغبة؟ لا، نتمنى فقط ان يساعدنا القدر ونستسلم نهائياً. . .

ارتجفت اصابع الفتاة على ظهر رايدر العاري. . . فجأة، احست بأن شيئاً لا يمكن فهمه يحصل، توقف رايدر فجأة، لم يعد يقبلها، توقف عن تلمس جسدها. . . خفت أنفاسه، وتسمر مكانه.

واخيراً تركها، ونهض بسرعة أوه، يا إلهي لماذا يدفعها بنفس اللحظة التي تقدم له نفسها فيها بكل هذه الحرارة؟.

«رايدر. . .» نادته بصوت مرتجف.

عندما التفت نحوها، احست وكأنه ضربها بقوة على قلبها، فشدت قبضتها على حافة الكنبة كي لا تصرخ من الألم. إن نظراته إليها لا تُحتمل. . .

فرتبت ثوبها بيد مرتجفة، وجلس في زاوية الكنبة كالطفل مذعور، دون أن يتوقف عن النظر إليها، ارتدى رايدر قميصه وجاكيتته بسرعة، ثم مرر اصابعه في شعره بحركة تدل على توتره.

لماذا يتصرف هكذا؟ لماذا ينظر إليها باحتقار، وكأنها فتاة. . . سوء؟ مع أنه منذ لحظات كان يضمها بحنان بين ذراعيه؟.

«رايدر. . .».

«كنت اعتقد أنني قادر. . . ولكن لا، هذا مستحيل، غداً صباحاً، عندما سأحلق ذقني، اريد أن اتمكن من النظر في المرآة دون أن اشعر بالغثيان. . .» حبست بريانا دموعها، عما يتكلم؟ إنها لا تفهم شيئاً. . .

«لقد علمت كل ما كنت ارغب بمعرفته» أضاف رايدر «لقد حذرتك إذا كنتُ شخصية روائية، سأكون شريراً. . .» ثم سكت، وتأملها ودون ان يضيف أية كلمة غادر الغرفة بسرعة.

لم تتحرك بريانا من مكانها، ظلت منزوية على الكنبة، وقد فرغ عقلها، وتشنج جسدها. . . كانت تشعر بأن

كلمات رايدر لا تزال ترن في الغرفة كأنها طيور سوداء كبيرة، غريبة وخطيرة. . .

شيئاً فشيئاً، أخذت تهزها رجفات متتالية، كانت على وشك الانهيار العصبي، تتردد بين البكاء والضحك الهستيري. يا إلهي، لم تكن تتخيل أن هناك عذاب بهذا الشكل. . . لماذا أذلها بهذه الفظاعة؟ لماذا، رايدر؟.

واجتاحها غضب شديد. من يتعبر نفسه؟ لم يكن يحق له أن يعاملها هكذا، ويحتقرها كما تحتقر هي نفسها الآن! هزها شعور لا يقاوم، فقفزت على قدميها واسرعت نحو الباب وهي ترتب ملابسها قدر الإمكان، لم تنجح في إقفال أزرار ثوبها، ومع ذلك لم يوقفها هذا التفصيل الدقيق الآن، الأناقة هي آخر ما تفكر به!.

فتحت الباب بسرعة، وصرخت بصوت يرتجف من شدة الغضب.

«انت سافل، رايدر كنترل! انت. . . انت. . .»

واجهشت بالبكاء، أن الذي تشتمه أصبح للأسف بعيداً. . . لا يوجد في الممر سوى ثنائي يتجهان إلى غرفتهما، وقد توقفا مذهولين.

فدخلت إلى غرفتها بسرعة، واستندت خلف الباب. لو عاشت مئة عام، لن تنس نظرات هاذين الزوجين! لا بد أنهما اعتقدا بأنها مجنونة!.

ثم تأملت نفسها في المرآة، يجب أن تعترف بأن منظرها كان مدهشاً غريباً، كانت قدماها حافيتين، وملابسها غير مرتبة، وشعرها منفوش، وخداها مبللان بالدموع. . .

يا إلهي! إنها تبدو مشكعة حقيقية. . .

أوه، لماذا هي منهارة هكذا؟ على كل حال، ما اصابها لا يغيُر وجه الكون، قد تكون هذه إشارة تدل على تبدل المقاييس كلها.

فعادة النساء هن اللواتي يدفعن الرجال عند محاولتهم إغرائهن، الآن جاء دور الرجال ليلعبوا دور العفاف والطهارة! بريانا فتاة بالغة، راشدة، ولن تموت بعد ما اصابها من ذل. . .

ستعيش طبعاً، ولكن هل ستتمكن من نسيان هذه الأهانة؟ والأسوء هو هذا الانفعال الغير مفهوم. . .

ايتصرف رايدر هكذا دائماً مع كل النساء اللواتي يلتقي بهن؟ اهذا نوع من الانتقام الغامض ضد الجنس اللطيف؟ قد يكون هذا الرجل مريض نفسي خطير؟ وقد يكون شريفاً جداً ومتعجرفاً؟ الكلمات الغريبة التي قالها قبل خروجه تطرح افتراضات كثيرة. . .

أوه، فليذهب كل هذا للجحيم! من غير المفيد أن تعذب نفسها بهذه الأسئلة، بما أنها، وعلى كل حال ستبقى للأبد بدون أجوبة، لأن بريانا كانت متأكدة من شيء، لا تريد أن تر رايدر كنترل مرة ثانية ابداً، ستزيله من وجودها ولن تفكر به، طبعاً بشرط ان يكون هذا ممكناً على الصعيد الإنساني. . . آه، لماذا لم يكن شخصية روائية، كما اقترح بنفسه؟ بأية لذة كانت ستحمي إسمه! ثم كانت لتمزق الورقة ألف قطعة وترميها في سلة المهملات! للأسف، الحياة معقدة أكثر من ذلك بكثير. . .

www.elromancia.com

أن هذا مؤلم جداً، إنها بحاجة لكثير من الوقت كي تستعيد ثقتها بنفسها. أما بالنسبة لإقامتها المقررة في سان انطونيو، فهي ترغب الآن بالتخلي عنها، ولكن للأسف، هي مضطرة للذهاب إلى تلك المدينة لكي تشرف على الإعلان والترويج لكتابها، ولكن فيما بعد. . .

فجأة عادت إليها طبيعتها المقاومة، لا لن تغير خططها! لن تتراجع عن الطريق الذي رسمته بسبب رجل مثل رايدر كنترل! لديها أبحاث يجب القيام بها، ولا مجال للتخلي عنها!.

كما وأنه ليس من المستحيل أن يكون قد كذب عليها، قد لا يكون يسكن في سان انطونيو. وحتى لو كان يعيش فيها، ستحاول بريانا أن تتجنب لقاءه. المدينة كبيرة وقد لا تسمح بلقاء عدوين لدودين. . . .

بالتأكيد، هو يعرف في أي فندق هي تنزل، ولكن إحتمال محاولته البحث عنها ضئيل جداً، على كل حال لن تبق فيه طويلاً، بعد الندوة التي ستبثها الإذاعة والتليفزيون، ستكون حرة. وستبحث عن شقة صغيرة وتبدأ عملها.

في روايتها القادمة، ستجد وسيلة بشعة تجعل من خلالها الشخصية التي تريدها هزأة كبيرة. أوه ستجعله شخصية شريرة غريبة، لن تعطيه ملامح رايدر طبعاً. . . لكنها ستجعل عدو البطل اسخف رجل تهزأ منه كل الأرض! وهكذا ستشعر بأنها انتقمت قليلاً. . .

ابتسمت بسخرية، وخلعت ثوبها واتجهت نحو الحمام بخطى سريعة، إنها بحاجة ماسة لدوش حار، يزيل عنها

تعب وذل اليوم الثاني لها في تكساس. هذا البلد الذي كانت تحبه كثيراً. . .

كانت المسافة بين دالاس وسان انطونيو تدوم خمسة ساعات، وبريانا كانت متعبة بالتأكيد من القيادة، ومع ذلك لم تفكر بالانتقال بوسيلة أخرى. القيادة وحدها، على طرقات تكساس، مباشرة نحو الجنوب، هي تجربة جيدة، وهي تسمح لها بعدم الانغماس في أفكارها التي تعذبها. . .

كم كانت تحب أن تتوقف في إحدى مزارع واكو، وأن تقضي يوماً في اوستن عاصمة الولاية، وترتاح في ريف سان ماركوس ونيو برونفلز! للأسف، ليس لديها الوقت لذلك، إنهم بانتظارها في محطة الإذاعة في الساعة السابعة. قبل ذلك يجب أن تضع حقائبها في الفندق، وتأخذ دوشاً وتبدل ملابسها وتتناول سندويشاً قبل بداية بث البرنامج. ومع ذلك كانت قد غادرت مدينة دالاس عند الظهر تقريباً.

كانت قد قررت الانطلاق ابكر من ذلك الوقت بكثير، لكنها لم تكن قد نامت ليلتها جيداً مما اضطرها للإستغراق بالنوم. وكأن هذا لم يكن كافياً، فما إن فتحت عينيها حتى كان رايدر أول فكرة خطرت ببالها. هذه ليست أفضل طريقة لمواجهة نهار جديد!

من حسن حظها، أن تفاؤلها عاد شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت، وتركت بريانا نفسها تتمتع بمناظر تكساس الجميلة. إن حبها لهذه الولاية وسكانها عاد يكبر من

www.elromancia.com

جديد . . .

كانت تنتظر بفارغ الصبر أن تتمكن من البدء بأبحاثها كي تعمق معرفتها لتاريخ تكساس. إن تصميم روايتها القادمة بدأ يتحدد في فكرها. وتفكر بأن تجعل أحداثها تدور في العصر الذي كان هذا البلد لا يزال تحت السيطرة المكسيكية، قبل الاستقلال بفترة قليلة، عندما وصل أوائل أوائل الانغلوساكسونين لاستصلاح الأراضي التي لا تزال بكر. سيكون من المثير جداً إظهار العلاقات وتضارب المصالح بين المجتمع المكسيكي والرواد بإطار عاطفي شيق.

- ٣ -

عندما وصلت إلى سان انطونيو، اتجهت فوراً إلى الفندق. كانت غرفتها تطل على الباسيوديل ريو، الذي امتدح رايدر سحره كثيراً، لم تلق الفتاة حتى نظرة واحدة على الشارع الممتد على طول النهر، في قلب المدينة القديمة. من المؤسف حقاً أن لا تزور هذه المنطقة السياحية، وأن لا تتنزه على ضفافه . . .

إن هذا الباسيوديل ريو يذكرها برايدر كنترل. رايدر الذي قررت أن تطرده من رأسها . . .

كانت محطة الإذاعة تشبه تلك المحطات التي سبق أن زارتها في الأسابيع الأخيرة. ممرات عديدة، غرف زجاجية حيث يضع فيها كل غريب. لحسن حظ بريانا، التقت بمذيع قادها حتى الاستديو الذي سيبث منه برنامجها. كان

www.elromancia.com

المذيع المختص بهذه البرامج قد سبقها، وجلس خلف طاولة مجهزة بمذياعين، وعندما دخلت بريانا، نهض وشد على يدها بحرارة.

«برافو، انت دقيقة بمواعيدك!» قال لها وهو ينظر إليها بإعجاب.

ابتسمت بريانا، يبدو إن كل مذيعي الراديو تخرجوا من مدرسة واحدة، لطفاء، حيويين، شكلهم جذاب، ولا يضيعون طاقاتهم. ينتظرون حتى يصبحوا على الهواء مباشرة كي يتناقشوا مع ضيوفهم وتكون آخر كلمة لهم طالما إنهم هم من يريد اللعبة.

جازون دايلي يبدو نموذجاً جيداً عنهم، ما إن جلست الفتاة قبالته حتى عاد لينغمس من جديد في قراءة ملاحظاته.

هذا لم يكن يزعج بريانا كثيراً. أنها معتادة على هذا النوع من التكتيك، ولكي تكون مثيرة، كانت تشعر بأنها قادرة على مواجهة أي مذيع مهما كان قوياً.

مرت عشرة دقائق في صمت تام. بينما كان مخرج البرنامج ومساعدوه يهتمون بآخر التفاصيل. أما جازون دايلي، فكان يتابع دراسة ملفاته. واخيراً رفع رأسه.

«جيد جداً...» اجابته بريانا، واحست برعشة خفيفة، لكنها تمالكت نفسها بسرعة، وفكرت مبتسمة بأنها احرزت تقدماً ملحوظاً في الفترة الأخيرة، في الماضي كانت بمجرد رؤيتها للمذياع تحس بالارتباك وتفقد كل شجاعتها...

رتب المذيع سماعته، واصغى جيداً لنهاية الوقفة

الإعلانية.

«ها نحن، جاء دورنا» همس بصوت منخفض.

ارتفعت الموسيقى الخاصة بهذا البرنامج، ثم قدم جازون دايلي ضيفته بصوته الجهير. بدأ بذكر إسمها، وبملخص قصير عن مهنتها، اعلن أنها حالياً في سان انطونيو لتقدم كتابها الأخير. وذكر بأنه بإمكان المستمعين أن يتصلوا هاتفياً لطرح الأسئلة على الكاتبة الرومنسية خلال مدة نصف ساعة. ثم أشار إلى مهندس الصوت كي يضع أسطوانة غنائية.

عندما بدأت الأغنية عبر الهواء، اشعل جازون سيجارة.

«هل قرأت صحيفة المساء؟» سألها فجأة.

«لا...» اجابته بقليل من الدهشة.

ارتسمت ابتسامة على وجه المذيع.

«لماذا؟ أكان يجب أن افعل؟» أضافت بسرعة.

«اعتقد أن هذا كان سيهمك» اجابها المذيع بابتسامة ماكرة. لم يسمح لها الوقت بالاستيضاح أكثر. لأنهما عادا على الهواء بسرعة... خلال نصف ساعة، اجابت بريانا على أسئلة جازون دايلي. وكان قد سبق لها أن قامت بعدة مقابلات مشابهه. لدرجة أنها اصبحت تجيب بسرعة وهي تكرر نفس الأشياء. يبدو أن الصحفيين يفتقدون للخيال كثيراً.

ولكن فجأة، تغيرت لهجة وموضوع النقاش. حتى الآن، كان جازون يحاول أن يكون لطيفاً. إلا إنه الآن بدأ يكشف عن مخالبه.

www.elromancia.com

«قولي لي . . .» هاجمها بابتسامة لا تدل على النية الحسنة «ألم تلاحظي أنك تتركين تأثيراً مؤسفاً على قرائك؟ أنا افكر بشكل خاص بالمراهقات التي تقرأ رواياتك. ألا تدفعينهن بطريقة غير مباشرة طبعاً. للاندفاع في تجارب جنسية خطيرة؟».

لشدة مفاجئتها، كادت بريانا تقع عن مقعدها. يا إلهي، لماذا يثير هذا الاتهامات؟ إنها جديدة تماماً! لم يسبق لإي صحفي أو مذيع أن طرح عليها مثل هذا السؤال.

«اعتقد بأن الناس ليسوا مطيعين كما تتخيل، سيد دايلي وأغلبهم راشدون ومسؤولون عن تصرفاتهم مثلي ومثلك تماماً . . .».

«اتقصدين أن البالغين هم الذين يشترون كتبك؟».

«طبعاً . . .».

«ولهم أنت تكتبين؟».

تململت بريانا وقد بدأت تفقد صبرها. لا يجب ابداً أن يلاحظ محدثها مدى توترها، وإلا سيوقعها في مأزق حرج.

«نعم . . .» اجابته بحزم.

«لكن كثيرات من المراهقات يقرأن كتبك ايضاً، اليس كذلك؟».

«تماماً».

«ألا يزعجك ذلك؟».

«لماذا؟».

«لأنك تناقضين القيم الأخلاقية، وتتجاهلين تقاليد مجتمعنا، مع أن هذا حساس في النموذج الأدبي الذي

تدافعين عنه، قد تكون هذه إحدى الأسباب التي تزيد من وجود عدد كبير من العازبات الصغيرات الحوامل . . .».

«كنت اجهل أنه بالإمكان الحمل في مجرد تصفح رواية حب!» اجابته بسخرية.

قطب جازون حاجبيه، يبدو أن ثقة بريانا بنفسها لا تعجبه ابداً.

«انت تعلمين جيداً ما اقصد قوله» اجابها بجفاف «انت تعطين المراهقات أفكاراً . . .».

«هذه الأفكار، إذا كنت تسميها هكذا، ليست بحاجة لأن تقترح!» قاطعته بسرعة «إنها مرتبطة بالطبيعة البشرية، بالإضافة إلى أنه من الافضل اكتشاف بعض الحقائق الإنسانية في كتاب، من اكتشافه بين ذراعي شاب عديم الأخلاق!» ثم قطعت كلامها لتأخذ نفساً عميقاً، وأضافت بلهجة حازمة «انا لا اخجل مما اكتبه، سيد دايلي. ورواياتي ليست مخزية ولا تشجع على التخلي عن الأخلاق . . .».

اصطنع المذيع سعالاً حاداً، وأشار إلى مهندس الصوت كي يضع أسطوانة جديدة. وساد جو من التوتر على الاستديو، بينما حاولت بريانا أن ترتب أفكارها. لماذا يهاجمها جازون دايلي بهذا الشكل؟ إن طبيعته هجومية، لكن لا شيء يفسر أسلوبه معها. والتفسير الوحيدالذي طرأ على رأس بريانا هو مقال في جريدة المساء. هل اعتمد في اتهاماته على مقال ما؟

لم يسمح لها الوقت بسؤاله، لأن جازون دايلي عاد إلى

www.elromancia.com

الهواء مباشرة. وطلب من المستمعين أن يتدخلوا في النقاش الذي دار بينه وبين الكاتبة الرومنسية، وكرر رقم الهاتف الذي يمكنهم الإتصال من خلاله. وما إن انهى كلامه، حتى رن جرس الهاتف في الاستديو.

خلال نصف الساعة التالية، اجابت بريانا على أسئلة وانتقادات المستمعين، وكان كل المتصلين موافقة على نقطة واحدة، لا يوجد أي شيء معيب في رواياتها، ومن غير العادل أن نرمي مسؤولية اخطاء المراهقات على عاتق بريانا. وبعض المستمعات المراهقات اتصلن وابدين اعتراضاتهن، وأعلن أن جازون دابلي على خطأ، وأنه لا يعرف الفتيات الشابات جيداً، ولهذا السبب يعتقد أنهن قابلات للتأثر بأي شيء كان.

عندما ارتفعت الموسيقى معلنة نهاية فترة البرنامج، تنهدت بريانا وشعرت براحة كبيرة. ثم نهضت ومدت يدها لجازون، لتثبت له أنها تتحلى بالروح الرياضية وأنها لا تكن له أي حقد. فمد يده نحوها وكان يبدو نادماً لأنه فقد برودة اعصابه أثناء المناقشة.

في غرفة التسجيل الزجاجية، لاحظت ان التقنيين يبتسمون لها. فأدار جازون لهم ظهره، فأخذوا يصفقون بحماس، وكأنهم يريدون أن يفهموها بأنها ربحت الجولة...

خرجت بريانا بسرعة من محطة الإذاعة، واسرعت لشراء جريدة المساء قبل أن تركب سيارتها. وجلست خلف المقود وتصفحت الجريدة بتوتر شديد. كان هناك مقال في

الصفحة الأولى تحت عنوان «يوميات رايدر كنترل...».

احست بريانا فجأة بقشعريرة باردة. إذاً هو صحفي! يا إلهي، لماذا لم تشك بذلك؟ لقد دلت على سذاجة كبيرة! ولقد اخضعها لاستجواب حقيقي، واجابت على كل أسئلته، دون أن تنتبه للفخ. كيف أمكنها أن تكون غبية لهذه الدرجة؟ ولكن ماذا اخبرته؟.

اخذت ترتجف من الخوف، وبدأت تقرأ.

«آه، الأدب العاطفي! من لم يقرأ ولو لمرة واحدة في حياته قصة من هذا النوع؟ لا أحد، اليس كذلك؟ الرومنسية قيمة كبيرة ودائمة... القاموس يفسر هذه الكلمة بأنها، الإنجذاب للأحلام الرائعة... باختصار... روح الرومنسية تنمو في الخيال اكثر منها في الواقع، ومع ذلك... فلنسأل أطباء مدينتنا. أنهم يجيبون بأن الحب بالنسبة للمراهقات، ينتهي دائماً بشكل سيء، احياناً كثيرة بولادة طفل غير مرغوب فيه. واحياناً كثيرة، وللأسف بالإجهاض. كم من الدموع والعذاب الغير ضروري يضيع فتيات رومنسيات! ولكن دعنا من كل هذا، ولنهتم قليلا بأولئك الذين جعلوا من الرومنسية مهنة لهم. انا افكر بشكل خاص بكاتبة رومنسية تزور ولايتنا بهذه الأيام لتقدم كتابها الأخير، زهرة الرمال، لقد التقيت بريانا سان كلير صدفة، في مكتبة في دالاس حيث توقع كتابها، إنها في السابعة والعشرين من العمر، جميلة جداً، شعرها طويل أشقر، عيونها خضراء، وقامتها رشيقة، وجذابة بشكل تؤثر على أي رجل مهما كان طبعه وبالأضافة إلى مزاياها هذه،

www.elromancia.com

هي مغرمة جداً بمهنتها.

خلال ساعات، نظرت إليها وهي تواجه المعجبات بها اللواتي جئن لرؤيتها من مختلف المناطق وبحماس كبير. لم تتخلى الأنسة سان كلير ابداً عن ابتسامتها المشرقة، وقارئات رواياتها تركنها وهن سعيدات بدفع أربعة دولارات للحصول على نسخة موقعة من كاتبتهم المفضلة.

لكن الطريقة التي تتصرف بها صديقتنا بريانا مع جمهورها لم تكن الشيء الأكثر اهمية بالنسبة لي. وليس هذا ما دفعني للبقاء إلى جانبها نهاراً كاملاً. لا، كنت ارغب فقط بمعرفة الأنسة سان كلير أكثر. . . حميمياً. اردت اكتشاف أية شخصية تختبيء خلف قناعها الساحر.

حسناً، يجب أن اعترف بأن الأنسة سان كلير رائعة وجذابة، إنها صادقة وصريحة وتدافع عن أدبها بحماس كبير، بكلمة واحدة، وهي مقتنعة بأسلوبها. . ومقنعة جداً.

أوه، اريد أن اطمئن المخلصين والأوفياء لهذه اليوميات التي اكتبها، انا لم افقد رأسي تماماً، وسيجدون منذ الغد المواضيع أقل تفاهة وخاصة التي اعتادوا عليها. هذا المقال ليس خال من الإفادة، إنه نوع من الخدمة أقدمها للمجتمع. لأنها تصوروا، الأنسة كلير شخصية خطيرة.

بالفعل لقد اعترفت بأن بعض شخصياتها مستوحاة من محيطها. بهذه المناسبة، انصحكم بقراءة زهرة الرمال بانتباه كبير. هذا إذا تمكنتم من قراءة الكتاب المؤلف من خمسمائة صفحة، واعترف لكم أنني فعلت ذلك بنفسي. ستكتشفون إنه في هذه الرواية يوجد صاحب خمارة يحاول

اغتصاب البطلة. هذا الرجل هو عبارة عن كريكتير لمدير شركة يعمل فيها والد كاتبتنا الرومنسية. وكما تصفه الأنسة سان كلير، هو زير نساء حاول عدة مرات إغراءها ولم يتردد في إغراء والدتها ايضاً!.

لا يمكنني أن امنع نفسي من التساؤل إذا كانت صديقتنا الرائعة لا تتعذب احياناً من مخيلتها الجامحة. . .

مهما كان الأمر، اعزائي القراء، انصحكم بفتح عيونكم جيداً، بريانا سان كلير تصل اليوم إلى مدينتنا الطيبة سان انطونيو وستقيم بين جدراننا خلال اسابيع قليلة. . . ».

رمت بريانا الصحيفة على المقعد أمامها، القذر! كيف تجرأ على السخرية منها، وعلى صفحة الجريدة؟ أوه، يا إلهي، لماذا هذه الإهانة الجديدة؟.

انزلت زجاج الباب، وتنشقت هواء الليل بعمق. كانت تشعر بأنها ستختنق. كيف تجرأ رايدر على نشر ما اخبرته به عن مدير الشركة التي يعمل فيها والدها؟ ماذا سيحصل إذا وصلت هذه الصحيفة إلى بنسلفانيا؟ ألم يفكر بذلك؟ لا طبعاً. . . إنه يستخف كثيراً بنتائج مقالاته، المهم بالنسبة له أن يكتب مقالاً يسلي قراءه، ايجب أن يكون ذلك على حساب بريانا. . .؟.

بجهد كبير، حاولت السيطرة على نفسها، أي موقف تتخذه الآن؟ للحظة، فكرت بأن تلاحق هذه الجريدة. . . ما إسمها هذه اللعينة؟ آه نعم «الشمس. . . .».

ولكن لا، هذه ليست فكرة جيدة. إنها تحتاج لكثير من

www.elromancia.com

الوقت ولمجهود كبير الأفضل أن تتجاهل هذا النقد اللاذع الذي يصفها باحتقار شديد. رابطة الجأش، وروح الفكاهة، هي أفضل وسيلة لمواجهة الخصم. يجب أن تأمل فقط بأن يؤيدها سكان سان انطونية...

الأصعب، سيكون البرنامج التليفزيوني مساء غد. وقد يسألونها عن الهجوم الذي تعرضت له في هذا المقال. ولن يكون من السهل أن تدافع عن نفسها بالابتسام...

«هيا، تشجعي!» قالت لنفسها وهي ترفع رأسها باعتزاز.

المقابلة التليفزيونية لم تكن اصعب من المقابلة الإذاعية. إلا أن النقاش ركز أكثر على الشخصيات الحقيقية التي تستوحيها بريانا في كتبها، ولحسن الحظ، لم تشر الصحيفة المذيعة ولم تلمح لمدير الشركة التي يعمل فيها والدها، هذا ما طمأن الكاتبة وجعلها تتجنب الوقوع في أي فخ بمزاج فكاهي ظريف.

بعد ذلك اتجهت فوراً إلى المكتبة حيث ينتظرونها لتوقيع كتابها. كان هناك العديد من المشجعين ينتظرون أمام المكتبة، يبدو أنها اصبحت مشهورة في سان انطونيو... كان الجميع قد استقبلوها بحرارة واكدوا لها أنهم يتابعون نجاح مهنتها باهتمام كبير.

عندما عادت إلى الفندق، اتجهت فوراً إلى البار لتشرب شيئاً ينعشها. جلست قرب طاولة صغيرة وطلبت كوباً من عصير الفاكهه، كانت قد قضت ربع ساعة في البار عندما دخل رجل ونظر حوله قليلاً قبل أن يتقدم نحو بريانا. كان طويلاً، وسيماً، مرحاً.

«مساء الخير! هل انت الآنسة سان كلير؟».

«نعم» اجابته بحذر.

«كنت متأكداً! لقد رأيتك على شاشة التليفزيون قبل الظهر أتسمحين لي بالجلوس؟».

«نعم...» اجابته وهي تحمل حقيبة يدها «على كل حال، كنت استعد للذهاب...».

«أوه، يا للخسارة! كنت ارغب بالثرثرة قليلاً معك! إن زوجتي هي إحدى المعجبات جداً بك. هل انت حقاً مستعجلة؟».

تأملته بريانا قليلاً دون أن تجيبه. كانت الخيبة واضحة على وجهه، فلم يطيعها قلبها بتخييب أمله.

«لا... تفضل بالجلوس، ارجوك».

«شكراً!» اجابها بابتسامة مشرقة. ثم طلب شراباً والتفت نحوها من جديد.

«انت تنزلين في هذا الفندق؟».

«نعم...».

«وكم ستبقين في سان انطونيو؟».

«بضعة اسابيع...» اجابته بتردد. فمنذ تجربتها في دالاس، وهي تحذر من كل الغرباء الفضوليين.

«ليس من المديح الإقامة طويلاً في الفنادق، أنا مثلاً لا اتحمل ذلك...».

«انت ايضاً تنزل في هذا الفندق؟».

«لا، لحسن الحظ! انا وزوجتي آن نسكن في شمال المدينة. انا اعمل في العقارات...».

www.elromancia.com

انتفضت بريانا فجأة.

«العقارات؟».

«نعم... بالمناسبة، إذا كنت تفكرين بالبحث عن شقة في سان انطونيو، فأنا بامكاني مساعدتك، لدي منزل جميل وبسعر مناسب جداً...».

«انا لا انوي شراء منزل، سيد...».

«أوه، ماذا اصابني؟ انا لم اقدم لك نفسي! انا بول دانيالز أما المنزل الذي اكلمك عنه فهو ليس للبيع، بل للإيجار».

«هذا لا يهمني، انا لا...».

- ٤ -

«ارجوك، لا ترفضي بسرعة، إنها صفقة مميزة! المكان ساحر، والإيجار قليل نسبياً...».

«لا بد أنه كوخ...» اجابته ممازحة.

«اطمئني» اجابها ضاحكاً «السقف ليس على وشك الانهيار، والأرض بحالة جيدة، بكل بساطة مالكه هو أحد اصدقائي، وكانت عائلته تقيم في هذا المنزل. وكل غرفة فيه تذكره بذكريات بعضها مؤلم بالنسبة له. إنه لا يريد أن يسكنه، ولكنه لا يفكر بالتخلي عنه وبيعه. ولهذا السبب طلب مني أن أجد له مستأجراً حالياً».

«واين يقع هذا المنزل الرائع؟».

عرض هذا الرجل اعجبها كثيراً، لكنها لا ترغب بقضاء كل الوقت على الطرقات، تريد شقة قريبة من مركز

www.elromancia.com

تكساس الثقافي، حيث يجب عليها الذهاب يومياً.

«إنه ليس بعيداً من هنا، إنه في الأحياء القديمة، قرب البلاذا».

هذا جميل جداً! مركز التوثيق قريب جداً من تلك الساحة!

«حسناً، كل هذا يبدو لي مثيراً، إذا اعجبني هذا المنزل، قد اقبل عرضك، سيد دانيالز».

«انا متأكد من ذلك، ايمكنك أن تزوريه صباح غدٍ؟».

«بكل سرور...».

«إذاً موعدنا الساعة العاشرة، موافقة؟».

«عظيم...».

ثم نهض بول وشد على يدها بحرارة.

«انا متأكد انك لن تندمي ابداً» قال قبل أن يبتعد.

في اليوم التالي، وبرفقة بول دانيالز، وصلت بريانا إلى أجمل منزل فيكتوري شاهدته في هذه المدينة. جدرانه مرتفعة، واجهته الأمامية تطل على شرفة واسعة. نوافذه واسعة تطل على حديقة واسعة...

«إذاً ما رأيك؟» سألها بول.

«سأستأجره...» اجابته بحماس.

«دون أن تلق نظرة إلى الداخل؟» سألها بلطف ساخر.

«تماماً، إنه رائع...».

«كنت متأكداً إنه سيعجبك، إنه يعود لنهاية القرن التاسع عشر، ككل هذا الحي. وكما تلاحظين، اكثر هذه المنازل مرممة...».

في الداخل، كان المنزل جميلاً ايضاً. سقفه مرتفع، درجه حلزوني، أثاثه قديم فاخر، كان يضم عشرة غرف، ثلاثة للنوم، حمامين، مطبخ، صالون، غرفة طعام، مكتبة، وشرفة واسعة تطل على الحديقة الخضراء.

«إذاً، ما رأيك؟ ألا تزالين مصممة؟» سألها بول.

لم يكن هذا منطقياً، لاحظت بريانا أخيراً، هذا المكان كبيراً جداً، ومع ذلك، لا تجروء على الرفض. لقد وقعت أسيرة حب هذا المكان...

«اتفقنا، سيد دانيالز!» اجابته بحزم.

«عظيم! إذا لم يكن لديك مانع، اقترح عليك أن تمري على مكتبي لتوقيع عقد الإيجار، وفيما بعد...» وسكت وتأملها كأنه يتوسل لها «أتقبلين مشاركتنا الغداء؟ زوجتي آن ترغب كثيراً بالتعرف عليك! إذا لم اصطحبك معي، ستقتلني حتماً. ولكن قد يكون لديك مواعيد أخرى؟».

«لا، انا حرة اليوم. كما وانني لا اريد أن اكون مسؤولة عن جريمة قتل» اجابته ضاحكة «شكراً على دعوتك...».

«يجب أن نسرع، آن تعد لنا السباغتي، إنه اختصاصها».

«رائع، انا احب هذا الطبق...».

خلال الطريق إلى مكتب بول، كانت بريانا تفكر بما ستفعله غداً، ستنتقل إلى منزلها الجديد، وستمر على بائع الخضار وتشتري الحاجيات، كما يجب عليها الإتصال بوالديها هذا المساء لتعلم إذا كانت الصحيفة التي تنشر مقال رايدر قد وصلت إلى بنسلفانيا.

إن مجرد التفكير بهذا الإسم يجعل قلبها يدق بسرعة. القذر! فكرت بغضب شديد، أوه، كم تتمنى لو تخنقه بيديها! ولكن لا، هذا سيشرفه كثيراً. إنه يستحق أن تمحيه من ذاكرتها إلى الأبد.

ما إن دخلا إلى مكتب بول، حتى اسرع كل الموظفين نحو بريانا، يبدو أن بول موهوب في الدعاية والإعلان! سلمت بريانا على كل واحد منهم بلطف، ثم وقعت عقد إيجار المنزل، وعادت مع بول إلى السيارة.

«انا آسف. . .» قال لها بول مبتسماً «كان يجب أن احفظ لساني وألا اخبرهم بزيارتك للمكتب».

فتأملته بريانا قليلاً، إنه لطيف جداً، ومن المستحيل أن تغضب من رجل مثله، إنه يشبه طفلاً صغيراً كبر بسرعة. . .

«لا تعتذر، هؤلاء الموظفين لطفاء جداً، وكنت سعيدة بالثرثرة معهم».

«للحقيقة، انت أول كاتبة مشهورة التقيها في حياتي، هل كلهم مثلك؟».

«هذا يعني. . .؟» سألته ضاحكة.

«حسناً. . . انت رائعة حقاً، وبسيطة جداً».

«أوه، انا لا استحق كل هذا! لدي ثلاثة أخوة وأخت واحدة، عندما يبدأ رأس أحد منا بالانتفاخ والتعجرف، يسرع الأخرون لإعادته إلى ما بين كتفيه! انت تعلم، الشهرة لا تعني الشيء الكبير. . .».

عندما وصلا إلى منزل آل دانيالز، اسرعت زوجة بول

لاستقبالهما بسرعة رغم بطنها المنتفخة التي تثقل حركتها.

«انا سعيدة جداً لأنك تمكنت من الحضور!» قالت لها آن وهي تشد على يدها بحرارة.

تأملتها بريانا بدهشة، آن تبدو طفلة كبيرة رغم حملها المتقدم.

«انا اشكرك على دعوتك هذه» اجابتها بريانا بصدق، واحست فوراً بأن هذه الإمرأة الرقيقة الملامح يمكنها أن تصبح افضل صديقاتها.

«إنه شرف كبير لنا. . .» قالت آن، واقتربت من زوجها وابتسمت له باشراق «شرف لنا جميعاً، بول وانا والصغير. . .».

«كما تلاحظين، عزيزتي بريانا، العائلة سترزق قريباً بوريث جديد!» اجاب بول بحنان.

«تقول والدتي إنه سيكون بنتاً، ووالدة بول تقول بأنه سيكون صبياً!» شرحت لها آن بمرح «بالنسبة لي هذا ليس مهماً. سأكون أسعد أم على الوجود حتى ولو كان لولدي شعر احمر كشعر والده!» ضحك الجميع، وتأملت بريانا الزوجين السعيدين بقليل من الحسد! يبدوان مغرمين جداً ببعض. . .

«اعذريني، يجب أن اراقب الطعام» قالت آن «عزيزي، اهتم جيداً بضيفتنا لو سمحت. . .» واتجهت نحو المطبخ.

التفت بول نحو بريانا وعيونه تشرق بالفخر.

«إنها جميلة جداً» قالت بريانا بلطف.

«نعم، إنه رأيي انا ايضاً. . .».

www.elromancia.com

«متى سيحين موعد الولادة؟».

«بعد اسبوعين تقريباً...».

بعد ربع ساعة، كان الثلاثة يتذوقون طعام آن الشهي. وخلال الغداء، كانوا يثرثرون بمرح، ويتبادلون المزاح وكأنهم اصدقاء قدامى.

«هذا غريب!» فكرت بريانا فجأة. احياناً كثيرة نلتقي باناس نعرفهم منذ سنين طويلة ولا نشعر تجاههم بأية مودة، واحياناً اخرى نتعرف على اناس نشعر بأنهم اصدقاء فوراً. ومن النظرة الأولى نتمنى أن نفتح لهم قلوبنا ونشاركهم حياتهم... هذا تماماً ما حصل لها عندما تعرفت على رايدر... أوه، لماذا تفكر به دائماً؟ ألم يكن ذلك الدرس كافياً؟ لا يوجد شيء بينهما سوى الإهانة التي وجهها لها...

«بريانا؟» قالت لها آن بقلق «أتشعرين بألم ما؟».

«لا، ابداً، اعذريني... اعتقد انني كنت شاردة فقط...».

«اتفكرين في كتابك القادم؟».

«نعم، تقريباً...» اجابتها بريانا وقد سرت بهذه الحجة.

«اعتقد إنه شيء رائع أن يتمكن المرء من خلق عوالم...».

«ولكن هذا يتطلب جهداً كبيراً!» تدخل بول وهو ينظر إلى ضيفته بلطف.

«هذا صحيح...» اعترفت بريانا.

«انت تحبين مهنتك، اليس كذلك؟».

«نعم ويبدو لي أنه من المستحيل أن اعيش بدون الكتابة».

مرت فترة بعد الظهر بسرعة. وعندما نظرت بريانا إلى ساعة يدها، لم تستطع أن تخفي دهشتها.

«يا إلهي! إنها الساعة الخامسة».

«وإذا؟» سألها بول ببراءة.

«يجب أن اذهب! انا هنا منذ الظهر!».

«وهل هذا شيء مأساوي؟».

«لا، ولكن...».

«عزيزتي بريانا، ليس من اللطف أن ترحلي قبل أن تستيقظ آن» قاطعها ضاحكاً.

فألقت نظرة إلى يمينها ورأت آن نائمة على الكنبة.

«وعملك؟» سألته بخجل.

«لا تقلقي، انا بحاجة لبعض الراحة...».

«انك تجد كل الأعذار، للبقاء بجانب آن، اليس كذلك؟».

«تماماً، يبدو لي انك انت ايضاً بحاجة للراحة، هل انا مخطىء؟».

«لا».

«إذا ارتاحي ولا تفكري بشيء».

«هل هذا أمر، دكتور؟».

«نعم! اخي طبيب، وهذا ما يجعلني قادر على وصف العلاج...».

www.elromancia.com

«آه، بول انا شقيقة مهندس إذاً يمكنني أن اشيد منازل؟».

«بالتأكيد!».

«بول. . . هل سبق أن قال لك أحد بانك رائع؟».

«كل يوم اسمع هذا الكلام».

«بهذه الحالة، لن يزعجك أن اكرر ذلك انا ايضاً؟».

«لا، ابداً، ارجوك انا لست سريع التأثر».

ضحكا معاً، وتنهدت بريانا مسرورة. وفجأة حدث شيء بدل ملامح بول. لقد توقف عن الضحك وهو يثبت نظره على الباب بذهول. التفتت بريانا بقلق. . . وشعرت فجأة أن الدم تجمد في عروقها، رايدر كنترل هنا، يقف امام الباب. . .

«رايدر!» قال بول بدهشة وهو ينظر إلى بريانا برعب «ولكن. . . ماذا تفعل هنا؟».

لم يجبه الصحفي فوراً. ظل واقفاً يتأمل بريانا التي احدث وجوده المفاجىء صدمة كبيرة عليها.

«لقد طرقت على الباب قبل أن ادخل» قال رايدر بابتسامة صغيرة واشرقت عيونه الزرقاء.

«مساء الخير بريانا. . . كيف حالك؟».

ظلت هذه الكلمات معلقة في الجو الذي تكهرب فجأة في الغرفة. ولم تستطع بريانا الكلام، وكانت تتأمل رايدر كأنه شبح امامها، هذا ليس ممكناً، إنه ليس رايدر! لا يمكنه أن يظهر هكذا ويسلم عليها كأنهما افترقا كصديقين حميمين!.

نهض بول من مقعده.

«كنت. . . كنت اعتقد انك لا تزال في دالاس!».

«لكنني عدت. . .» اجابه رايدر ممازحاً، واتجه نحو آن التي لا تزال نائمة. وانحنى ورفع خصلة شعر عن جبينها. لكن آن لم تستيقظ. . .

«متى عدت؟» سأله بول وهو يحاول تمالك نفسه.

«منذ ساعة تقريباً. . .».

«كان بإمكانك أن تتصل قبل مجيئك. . .».

«لماذا؟ الست مرغوباً في منزلك، بول؟».

«بلى بالتأكيد، ولكن. . .» والتفت نحو بريانا والقلق والانزعاج باديان على وجهه.

«أوه، اهذا بسبب ضيفتك؟» اجابه الصحفي بسخرية «انت مع ذلك لا تجهل بأننا التقينا من قبل. . .» ثم تقدم نحو بريانا التي كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة. وتوقف امامها ورفع وجهها ليجبرها على النظر إليه.

«نحن نعرف بعضنا. . . جيداً، اليس كذلك؟» همس بلهجة استفزاز، هذه الكلمات ايقظت بريانا من دهشتها وذهولها.

«نعم، للأسف!» اجابته وقد لمع الغضب في عيونها.

«أوه، صديقتنا ليست مسرورة. . .» قال مداعباً.

تمنت بريانا لو تنشق الأرض وتبتلعها! هذا الموقف يفوق قدرتها على التحمل.

«اريد أن اقولك لك شيئاً، سيد رايدر كنترل!» صرخت فجأة «اذهب إلى الجحيم!».

www.elromancia.com

صراخها المفاجىء، ايقظ آن من نومها، ففركت عينيها، وحاولت النهوض بصعوبة.

«ماذا يجري؟» سألت بقلق ثم التفتت فرأت رايدر «أوه، لا!».

«حسناً!» قال الصحفي ضاحكاً «ما كل هذا الحماس، يا عزيزتي؟».

«انا سعيدة برؤيتك، رايدر ولكن. . .».

نهضت بريانا بسرعة، يا إلهي ما هذه الخيبة! طوال هذه الساعات كانت تعتقد أن آل دانيالز صادقون! لكنهم كاذبون. . . رايدر صديقهم. وبالتأكيد يعرفون ما كتبه عنها. . .

«شكراً على هذه الوجبة اللذيذة» قالت ببرودة «الآن إذا سمحتما، اريد أن استعمل الهاتف. . .».

«لماذا؟» سألها بول بقلق.

«كي اطلب سيارة تاكسي».

«أوه، بريانا!» قالت آن وهي تتجه نحوها «ارجوك، لا. . .» اسرع بول وامسك كتفي زوجته بحنان.

«ارجوك راعي وضع آن. .» همس رايدر بإذن بريانا «إن حملها يتعبها كثيراً، إذا كنت لا تريدين أن يولد الصبي قبل أوانه، لا تخرجي غاضبة!».

لاحظت بريانا رغماً عنها أن رايدر على حق. لقد شحب وجه آن، وبدت منهارة حقاً.

«سأوصلك بنفسي» أضاف الصحفي بصوت مرتفع «يجب أن اتكلم معك قليلاً. .».

«نعم هذا صحيح» قالت آن متلعثمة «بريانا، نحن آسفان جداً! لم نكن نريد إيذائك. . .».

«اتركيهما يذهبان، يا عزيزتي» قاطعها بول بهدوء.

خرجا معاً من المنزل، وتبعته الفتاة رغماً عنها إلى السيارة، فتح رايدر لها الباب، فجلست واقفلت الباب دون أن تلق نظرة إلى آل دانيالز، لم تكن تريد أن تزيد من احراج آن، ولكنها رغم ذلك، لم يكن بإمكانها أن تتصرف وكأن شيئاً لم يكن. شعرت فجأة بأنها تعرضت لخيانة من جانبهما.

«ما إن نبتعد عن منزلهما، سأنزل من هذه السيارة، وسأستقل سيارة إجرة» قررت بريانا وقد بدأ الغضب يتطاير من عيونها. جلس رايدر خلف المقود، وانطلق بسرعة، وظلت بريانا تنظر إلى الأمام مباشرة وقد قررت أن لا تنطق بأية كلمة، وأن تطلب منه أن يتوقف ما إن يصلا إلى الشارع العام. وقد زاد من غضبها السرعة الجنونية التي كان يقود بها سيارته.

«إذاً، هل انت فخورة بنفسك؟» سألها فجأة.

التفتت نحوه بدهشة كبيرة وكأنها لا تصدق إذنيها.

«أعليّ انا تطرح هذا السؤال؟» سألته بصوت مرتفع.

«نعم! بسببك انت، يشعر بول وآن بأنهما أحقر من دود الأرض!».

«هذا كثير! انا لست مسؤولة عما حصل، انك انت المسؤول! لا تحاول أن تبرء نفسك!».

«انا لم اتصرف كطفل مدلل. . .».

www.elromancia.com

«ولا انا!».

«هذه مسألة رأي، يا صديقتي العزيزة...».

«لا، هذا كثير جداً» صرخت بصوت يرتجف من شدة الغضب.

«اوقف هذه السيارة فوراً، اريد أن استقل سيارة إجرة!».

«اتعتقدين انك ستجدين سيارة هنا؟».

«لا يهمني ذلك، دعني انزل!».

«لا».

«ماذا؟».

«قلت لا».

وصلا إلى تقاطع طرق. وكانت الإشارة بلون برتقالي، فوضعت بريانا يدها على مقبض الباب. فاضطر رايدر للتوقف، عند الإشارة الحمراء. فاستغلت هذه الفرصة. إنها فرصتها الأخيرة...

لكن وللأسف، كان رايدر يتوقع ذلك. فامسك ذراعها ليمنعها من تنفيذ خطتها. فحاولت التخلص من قبضته لكنها لم تنجح. ولم يترك ذراعها إلا عندما انطلق من جديد.

«اتكون سعيداً جداً عندما تتغلب على النساء الضعيفات؟» سألته بحدة وهي تدلك باشمئزاز المكان الذي امسكها به.

لم يكن قد آلمها كثيراً، لكنها لم تفوت هذه الفرصة لاحتقاره!.

«لم يكن لدي خيار آخر» اجابها بهدوء «إما أن امسكك بقوة، وإما أن اسرع بشكل اعرض فيه حياتك للخطر».

«كان بإمكانك ان تتركني أنزل، اليس كذلك؟».

«لا، تذكري انه يجب علينا أن نتناقش».

«وانا، انا اعرف أن النقاش يتطلب وجود متحدثين! بينما انا ليس لدي ما اقوله لك!».

«حسناً، في هذه الحالة، انت ستستمعين، مهما كان الامر، انا انصحك بعدم محاولة الهرب من جديد...».

«وإلا؟» سألته بتحد.

«ستندمين كثيراً».

«أوه، حقاً؟ وأي عقاب ستنزل بي، لو سمحت؟ الجلد بالسوط أم حمام الزيت المغلي؟ لماذا لا تسحقني وتجعل مني طابة بينغ بونغ؟» سخريتها هذه نزلت عليه كنزول المطر على ريش طيور البط.

«لديك حقاً خيال واسع...» قال لها ممازحاً.

«شكراً!» اجابته باشمئزاز.

ولشدة غضبها، لم تكن قد انتبهت إلى أنه يخفف السرعة، وعندما توقف انتفضت وتلفتت حولها بدهشة.

«اين نحن؟» سألته بقلق وخشية.

«هل سبق لك أن سمعتي عن الاموا؟».

«طبعاً».

ومن لم يسمع بالمكان الشهير الذي قاوم فيه مجموعة من أهالي تكساس أياماً طويلة امام الجيش المكسيكي؟ كانت هذه إحدى اهم حروب الاستقلال.

www.elromancia.com

«حسناً، افتحي عيونك جيداً، ألامو هنا، على يمينك مباشرة، أيهمك أن تزوري المكان؟».

التفتت بريانا إلى اليمين، ولاحظت المدينة القديمة الإسبانية، الأميركية.

«إذاً؟» سألها رايدر «ما رأيك باقتراحي؟».

ادركت بريانا أنه يريد المناقشة معها بإصرار. وسيحاول التأثير عليها بجعلها تتأثر بآثار الماضي، الذي تعشقه. لقد اوقعها من جديد في الفخ. كما فعل عندما رافقها إلى الفندق حيث اجابت على كل أسئلته بدون حذر. لكن هذه المرة، سيكون هذا سخيفاً جداً... ومع ذلك، هي لا ترغب بالعدول عن زيارة هذا المكان.

«حسناً، مُوافقة... هيا بنا!».

«أوه، انت تستسلمين بسرعة...» وتأملها بنظرات ملؤها الشك «ماذا تخططين الآن؟».

«الامو تثيرني فعلاً. هذا كل شيء».

«ولكنك لست مستعدة للكلام معي...».

لقد قلت لي منذ لحظات انك ستتكلم وليس علي إلا أن استمع» فابتسم الصحفي بسخرية.

«انا لست مجرماً لدرجة أن افرض عليك الصمت. كما واني متأكد أن هذا سيكون فوق طاقتك...».

«انت تعتقد انك تعرفني جيداً، اليس كذلك؟» سألته بسخرية.

«أوه للأسف...» اجاب وهو ينظر مباشرة في عيونها «انت لغز بالنسبة لي، يا عزيزتي... لغز غريب...».

«وانوي البقاء هكذا إلى أن انتقم منك!» فكرت

بإصرار.

بعد ساعتين، وبعد أن انتهت من زيارة ألامو اصطحبها رايدر إلى حديقة صغيرة محاطة بأشجار السنديان القديمة. وساعدها في الجلوس على مقعد حجري وجلس بقربها.

«إذاً، كيف وجدت الامو؟».

للأسف، كانت بريانا مضطرة للاعتراف بأن رايدر دليل ممتاز، وخبير بتاريخ بلاده.

«أنه مثير فعلاً» اجابته بجفاف.

«اتعتقدين أن هذا المكان سيفيدك فى كتابك القادم؟».

«هذا ممكن...».

وساد صمت بينهما، وظلت الفتاة تتأمل العدم أمامها. كانت لا تزال ترفض الاستماع إلى ما يريد أن يقوله لها رايدر، ومع ذلك لم تفكر بالذهاب.

«لقد غيرت رأيي» قال رايدر فجأة «لم أعد أرغب بالكلام، افضل أن استمع لك».

«وماذا تريدني أن اروي لك؟».

«كل شيء...».

«هذا غير واضح!».

«بريانا...».

فشدت على قبضة يدها بغضب شديد. فليذهب قرارها بالتزام الهدوء إلى الجحيم. لم تعد قادرة على التظاهر بعدم المبالاة، بما أنه يبحث عن عصا لبدء القتال، فهي لن تخيب أمله!

«حسناً!» وتنهدت بعمق «إن موقفك هو أحد اغرب

www.elromancia.com

واحقر شيء عرفته. حتى انك لم تكن صادقاً وشريفاً ولم تخبرني بأنك صحفي. وسلبت مني معلومات كثيرة، وبعد ذلك لم تتردد لحظة في نشرها!» ثم سكتت واخذت نفساً عميقاً واضافت باحتقار شديد.

«انت تعلم، انا لا احب الصحفيين ابداً، إنهم يفسدون كل شيء بتحوير الأجوبة التي يحصلون عليها!».

«هل انا حوّرت اجوبتك؟» سألها بهدوء.

«لا، وهذا الأكثر غرابة! هل كنت تخفي آلة تسجيل في إحدى جيوبك؟».

«لا ضرورة لذلك، فذاكرتي قوية».

«قوية جداً لدرجة توقعك في مآزق كبيرة! الا تدرك بانه بإمكاني أن اجرك أمام العدالة، انت وصحيفتك اللعينة؟».

«لماذا؟».

«بسبب القدح والقذف!» اجابته بحدة.

«وهذا يعني. . . ؟».

«انك ألمحت إلى انني. . . إلى اننا. . .».

«إلى اننا قضينا الليلة معاً. . .» هذا ما لم تتمكن من لفظه بصوت مرتفع «انا لم ألمح لشيء من هذا!» اجابها وكأنه ادرك افكارها.

«على كل حال، انت استغليت في مقالك اللاذع إحدى الأشياء التي اسررت بها لك وحدك!».

«انتبهي! لا تهيني مقالاتي اليومية، إنها جيدة جداً!».

«هذه مسألة رأي، يا صديقي العزيز» اجابته ضاحكة.

«مثير!»همس بمرح.

لكن غضب بريانا لم يتبدد نهائياً.

«لقد نشرت ما قلته لك عن مدير الشركة التي يعمل فيها والدي» أضافت بحدة «ألم تفكر بالخطر الذي سينتج عن ذلك إذا وصله المقال؟».

«لن يعلم شيئاً. إن مقالاتي لا تتجاوز حدود تكساس».

«ايمكنك أن تؤكد لي ذلك؟».

«طبعاً. . .».

«آه، انت تعلم!».

«على كل حال، انا قلت بأن هذه القصة تبدو لي من نتاج خيالك. . .».

«لكنك جعلتني ابدو غبية وسخيفة!».

«انت تبالغين، يا عزيزتي، القراء كبار بالغين ويعرفون كيف يستنتجون بأنفسهم».

«ولا مرة واحدة، خلال ذلك النهار، لم تمنعيني من استعمال كلامك، إذاً انا لم اخل بأي قاعدة من قواعد نظام مهنتي!».

شدت بريانا على قبضتيها بعصبية شديدة.

«انت لم تلمح لكونك صحفي. انا اسمح لنفسي بأن اذكرك بذلك!».

«انا لا افهم سبب غضبك، فكل المؤلفين يستوحون شخصيات أبطالهم من محيطهم، لا يوجد ما يصدم بهذا، ولا احد يجهله. . .».

«انت تملك جواباً لكل شيء، اليس كذلك؟».

«لا».

www.elromancia.com

«بل هذا صحيح!».

«أوه، كفى!» صرخ فجأة «هـذا النقاش لا يقـود لشيء. لقد قلت ما لديك، جاء دوري الآن. . .» ثم سكت وتأملها قليلاً وأضاف «رأيك بي يهمني قليلاً، لـدي ما يكفي من اعداء في هذه المدينة، وإذا كنت واحدة منهم فهذا لن يميتني. انا كل ما يهمني الآن آل دانيالز، أنهم حقاً لطفاء، ولا يحق لك أن تلوميهم. اقسم لك إنهم لم يقصدوا جرح مشاعرك. كانوا يحاولون مساعدتك، لأنني انا من طلب منهم ذلك انا. . .».

«ايؤنبك ضميرك؟» قاطعته بسخرية.

«لا، انا لست خجلاً من تصرفي معك. لقد تركتك فوراً عندما بدأت اشعر بالخجل من نفسي، انت تذكرين ذلك؟».

احست الفتاة بالنيران تشتعل في خديها، فأسرعت وادارت رأسها. هكذا إذاً! لقد دفعها بسبب أخلاقه ومبادئه. . . براڤوا! الآن ماذا ينتظر منها؟ أن تهنئه؟

«كنت قد وعدتك بأن ارسل لك أحداً يساعدك على إيجاد مسكن في سان انطونيو. كنت اقصد بول».

«انت رجل صاحب كلمة» اجابته بتهكم.

«احاول أن. . .».

«لا يجب أن يكون هذا سهلاً، بالنسبة لطبيعتك» قاطعته باحتقار فهز كتفيه.

«فكري بي ما يحلو لك» اجابها وقد بدأ يفقد صبره «ولكن، ارجوك لا تدعي انتقامك يقع على بول

وآن. . .».

امام صمتها المفاجىء، تنهد بيأس ونهض.

«هيا، سأوصلك الآن».

«لا شكراً. . . افضل أن اعود سيراً».

«الفندق بعيد من هنا».

«هذا ليس مهماً، انا احب المشي».

«ولكن سيكون قد حل الظلام قبل وصولك» ألح رايدر.

«انا لا اخاف الظلام».

«يا لها من شجاعة! ألا تخشين أن تلتقي بأشياء سيئة ممكنة؟».

«هذا لن يكون أسوأ مما اصابني منذ مدة قصيرة».

«إذاً لم اكن مخطئاً، فهذا تلميح إلى خادمك التعيس».

«انا لم اطلب منك أن تقول ذلك! الوداع سيد كنترل».

«إلى اللقاء، بريانا».

لم تستطع الفتاة منع نفسها من الارتعاش، لم يسبق لأحد أن لفظ إسمها بهذه الطريقة، وبهذا الأحساس المثير. . . ولن يتمكن أحد ايضاً من التأثير عليها بهذا العمق بصوته فقط. فكرت بريانا بحزن وهي تبتعد.

رايدر كان محقاً، كانت نزهتها طويلة، لقد مشت مسافة ساعة ونصف، كانت تتوقف كل لحظة لتسأل المارة عن طريقها. ولكن ولحسن الحظ وصلت سالمة إلى الفندق.

ما أن دخلت غرفتها حتى اسرعت إلى الحمام، وقضت وقتاً طويلاً في المياه الدافئة المعطرة. كانت بحاجة ماسة للأسترخاء. فنقاشها مع رايدر جعلها في قمة التوتر.

www.elromancia.com

هذا الرجل لا يمكن تحمله! كان لديه جواب على كل شيء، ولم يكن يشعر ابداً بالذنب تجاهها. للأسف، اضطرت للأعتراف بأنها غذت مقاله، بالطبع، لم تكن تعلم بأنه صحفي، ولكن هذا لم يكن تعليلاً كافياً، لا لقد كانت صريحة جداً، بكل بساطة، وصادقة. وللأسف كلامها اليوم، قد يسبب إحراجاً لوالدها. كان يجب على رايدر أن يفكر بذلك!.

تنهدت الفتاة بأسى، والمنزل؟ ايجب عليها أن تتراجع عن قرارها بشأنه؟ هذه المشكلة أعادتها للتفكير ببول وآن دانيالز. هل هما بريئان كما أكد لها رايدر؟ هذه الفكرة تشعرها بالراحة لأنها كانت قد شعرت فوراً بالمودة نحوهما، وهي تتمنى من كل قلبها أن لا يكونا خاناها. ولكن رايدر صديقهما...

أوه، فليذهبوا كلهم للجحيم! ستنتقل لمنزلها الجديد، ولن تفكر بهؤلاء الناس! إنها هنا من اجل العمل فقط... ثم خرجت من الحمام، واتجهت نحو الهاتف، يجب أن تعلم إذا كان مقال رايدر قد وصل إلى بنسلفانيا.

كانت شقيقتها سيلفيا هي التي اجابت على اتصالها.

«أوه، بريانا! اين انت يا عزيزتي؟ ألا تزالين في تكساس؟» ابتسمت بريانا واحست بالراحة. كانت دائماً تشعر بالقرب من شقيقتها مع أنها اصغر منها بكثير.

«نعم، انا في سان انطونيو. وسأبقى بضعة اسابيع، لقد استأجرت هذا الصباح منزلاً فيكتورياً رائعاً».

«ايمكنني زيارته؟».

«أوه، نعم متى ستأتين».

«كنت امزح... من المستحيل أن اترك الصغار».

«لماذا؟ ستكون أمي وأبي سعيدين جداً بالاهتمام باولادك...».

«اخشى أن لا يتغير موقفهما منا. نحن هنا منذ الأمس فقط، وقد احدث ابني تومي انفجاراً في المطبخ. تصوري، إن ابن اختك يهوى الكيمياء!».

«فليرحمنا الله!» اجابتها بريانا ضاحكة.

«نعم، سيكون هذا ضرورياً! اتريدين أن تتكلمي مع والدتنا؟ إنها في الكاراج مع حفيدها يحاولان إصلاح المصباح القديم».

ابتسمت بريانا من جديد. كانت والدتها دائماً تحب تعلم كل شيء، ولا تواجهها أية مشكلة في الكهرباء. كانت مواهبها تتفوق كثيراً على مواهب زوجها الذي لا يعرف كيف يدق مسماراً.

«لا، لا تزعجيها... كنت اتصل فقط لاطمئنكم عني».

«ألم يخطفك كوي بوي حتى الآن؟».

«لم ار واحداً منهم، وبدأت اتساءل إذا كانوا جميعهم قد هجروا تكساس» اجابتها بريانا وهي تصطنع الضحك.

«بالمقابل، نلتقي صحفيين من كل زوايا الشوارع» فكرت بسخرية.

«يا للخسارة! كنت اتمنى أن تمنحيني صهراً من تكساس. إن لهجتهم تعجبني كثيراً...».

احست بريانا ببعض الإحراج، وحاولت أن تغير الموضوع، وتطمئن على الهدف من اتصالها الهاتفي هذا، هل وصل مقال رايدر إلى بنسلفانيا.

«كيف حال والدي؟» سألتها بلهجة حاولت أن تكون طبيعية.

«إنه بحال جيدة. . .».

«ألا يواجه مشاكل في العمل؟».

«لا. . .».

تنهدت بريانا بسرور. لقد سمعت السماء صلواتها. لم يعلم أحد من افراد العائلة بأمر هذا المقال اللعين. . .

«حسناً، لن اؤخرك كثيراً، قبلي الجميع عني، سيلفيا».

«حسناً، انتبهي لنفسك جيداً، يا عزيزتي. . .».

اقفلت بريانا السماعة، وظلت لحظة مسمرة مكانها، غارقة في افكارها. لا داع للقلق على والدها، وهكذا يمكنها الاهتمام بعملها وقلبها مطمئن. واخذت ترتب اغراضها. غداً صباحاً ستنتقل إلى منزلها الجديد. ثم رمت نفسها على السرير. لقد كان يوماً شاقاً. . .

ولكن للأسف لم تستطع النوم بسهولة، كان يتمثل أمام عينيها شيطان عيونه زرقاء، يبتسم بسخرية. . .

في اليوم التالي، عند الظهر، كانت بريانا تجلس في منزلها الجديد. ولم تكن عملية الانتقال قد كلفتها جهداً كبيراً. اختارت غرفة نوم لها، ورتبت اغراضها وملابسها في الخزانة، ونظفت الثلاجة ووضعت فيها ما اشترته من حاجيات، وكانت قد طلبت امرأة نظفت كل المنزل حتى

إنه لم يعد هناك أثر للغبار فيه.

بعد الغداء، شعرت ببعض النشاط، فقررت الذهاب إلى المركز الثقافي. لم تكن ترغب بالعمل. لكنها ارادت زيارة المكان حيث ستمضي ساعات طويلة خلال الأسابيع القادمة.

كانت تعلم أن المركز الثقافي يضم معرضاً للتراث يمكنها أن تجد فيه أشياء كثيرة تدلها على طريقة عيش الناس في هذه المنطقة قديماً. وبقليل من الحظ، قد تتمكن من مقابلة المسؤول عن هذا المتحف الصغير ومن الثرثرة معه قليلاً. لا بد أنه سيتمكن من إخبارها عن عادات وتقاليد المجتمع المكسيكي القديم أيام الاستعمار الانكلو سكسوني. وبعد ذلك، ستلقي نظرة على المكتبة العامة.

خرجت من المنزل، واتجهت نحو سيارتها بحماس. وما أن جلست خلف المقود حتى سمعت وصول سيارة أخرى. . . للحظة، فكرت أنه قد يكون رايدر، وبدأ قلبها يدق بسرعة، ولكن لا السيارة ليست سيارة رايدر. . . أنه بول. . .

توقف بول، ونزل بسرعة من سيارته واقترب منها.

«أيجب أن الوح بعلم أبيض؟» قال لها ممازحاً «أم انك ستطلقين النار بدون أي إنذار؟».

كتمت بريانا نفاذ صبرها. فمنذ الصباح وهي تحاول أن تنسى حادث الأمس. وهذا لم يكن سهلاً عليها، مع أنها كانت مقتنعة بأنها تريد استيضاح موقف آل دانيالز.

«هذا يتوقف على ما تنوي قوله لي» اجابته ببرودة.

www.elromancia.com

«ايمكنك أن تدعوني لشرب فنجان قهوة. لو سمحت؟ هـذا سيمنحني الشجاعة لكي اشرح موقفي واقدم اعتذاري...».

هذه المرة لم تستطع الفتاة منع نفسها من الابتسام.

«حسناً، موافقة...».

«اتمنى أن لا اكون ازعجتك. ألديك موعد هام؟».

«لا، لا شيء مهم...» أكدت له ونزلت من سيارتها، دخلا المنزل، وقادته بريانا إلى المطبخ.

«تفضل بالجلوس. يجب أن ابحث عن إبريق القهوة، لم أعتد بعد على هذا المنزل».

«إنه في الخزانة التي على اليسار...».

تأملته بريانا بحيرة وشك.

«وكيف تعرف هذا؟».

«الجميع يضعون أدوات المطبخ إلى اليسار، اليس كذلك؟ كما وانني... لقد سبق أن قلت لك انني كنت اعرف صاحب المنزل...».

لم تعلق بريانا على ذلك. ووجدت إبريق القهوة في المكان الذي أشار إليه بول، واخذت تعد القهوة.

«اترغب بالانتقال إلى الصالون؟».

«لا، فلنبق هنا. إن جو المطبخ يريحني اكثر...».

جلست بريانا إلى جانبه بصمت.

«بريانا...» بدأ بصوت هادىء «نحن لم نكن نعلم شيئاً عن مقال رايد الذي كتبه عنك... لم نكن قد قرأنا الصحيفة، اقسم لك لكن آن تصفحتها وهي تعد الغداء،

فاتصلت بي فوراً إلى المكتب لتحذرني. انت تذكرين؟ كنا في مكتبي على وشك توقيع عقد الإيجار عندما اتصلت بي».

بالفعل تلقى بول اتصالاً من زوجته بينما كانت بريانا تثرثر مع الموظفين في المكتب.

«ماذا كان بإمكاننا أن نفعل؟ رايدر هو أفضل صديق لنا... لقد نشأت آن في المنزل المجاور لهذا...».

انتفضت بريانا فجأة.

«ماذا؟».

فاخفض بول رأسه وتنهد.

«سأشرح لك كل شيء. ولكن إذا كنت لا ترغبين برؤيتنا انا وآن، فنحن سنحاول ان نفهم و...».

«رايدر مالك هذا المنزل، اهذا ما تعنيه؟» قاطعته بحدة.

«نعم...» اعترف بول «كما قلت لك، إنه لم يعد يرغب بالعيش هنا. فطلب مني أن اعرض عليك هذا المنزل. طالما انك تبحثين عن مسكن بريانا... رايدر ليس سيئاً كما تعتقدين، إنه يهتم كثيراً بالآخرين...».

«نعم. نعم...» اجابته بسخرية.

«صدقيني...» ألح بول «بفضل يومياته التي ينشرها، ساعد كثيراً من الناس، وهذا ما أحاطه بعدد أكبر من الأعداء. ولكن هذا لم يمنعه من ملاحقة مخالفي القوانين».

www.elromancia.com

«بكلمة واحدة، انت تعني أن صديقك هو نوع من سوبرمان!» اجابته بتهكم.

«تقريباً... إنه لا يتردد في تحمل المخاطر في سبيل الوصول إلى هدفه».

«نعم، فانا اعترف بذلك بعد تجربتي معه» اجابته بألم، فتح بول ذراعيه بيأس.

«كان مقاله ساخراً، انا اوافقك الرأي. لكنه ليس شريراً، رايدر يحتفظ بمقالاته اللاذعة للسياسيين وللماليين والمرابين... إنه يتعرض لهم بدون أية شفقة. وهذا ما يجعلنا انا وآن دائمي القلق عليه...».

«لماذا، إنه بمستوى الدفاع عن نفسه».

«مبدئياً، نعم... ولكنه تعرض مؤخراً لحادث فظيع، وباعجوبة كبيرة خرج منه حياً...».

هزت بريانا كتفيها، وتظاهرت بعدم المبالاة، مع أن قلبها انقبض فجأة...

«ما دخلي انا بكل هذا؟» سألته بجفاف.

تأملها بول طويلاً، وكأنه يحاول تكهن ما يخفيه قناعها الذي تخفي نفسها خلفه.

«لا شيء...» اجابها وهو يتنهد. «كنت احاول فقط أن اشرح لك...».

«انت قلت بأن آن نشأت في هذا الحي؟» قاطعته بحدة.

«نعم، كانت تسكن في المنزل المجاور».

«ألا تزال عائلتها تقيم فيه؟».

«لقد انتقلوا إلى حي آخر. أما والدي رايدر فقد توفيا منذ ثمانية أعوام. كما وفقد رايدر أخته الوحيدة بعد شهور قليلة».

احست بريانا بانفعال غريب لم تفهمه، فنهضت لترفع فناجين القهوة عن الطاولة، ولم تنتبه إلى بول إذا كان قد لاحظ ارتباكها.

فنهض بول بدوره، وتأملها قليلاً.

«لقد اعترفت لك بكل شيء... إذا لم تكوني ترغبين بالبقاء في هذا المنزل، سأساعدك بإيجاد مسكن آخر. قد لا تسامحينني ابداً انا وزوجتي... ولكن... أيمكنني أن آمل بأن تفكري بحديثنا هذا؟».

«نعم، اعدك بذلك...» اجابته بصدق.

فأخرج بطاقة من جيبه.

«هذا عنواننا ورقم هاتفنا، إذا احتجت لأي شيء...».

«شكراً» اجابته وتناولت البطاقة منه.

بعد ذهاب بول، احست بريانا بقلق كبير، عندما علمت أن هذا المنزل هو ملك لرايدر، احست بأن كل فرحها بهذا الديكور الجميل والحميم تبدد. هذا سخيف، إنها تدرك ذلك. لكنه ليس كافياً للشعور بالقلق الذي يسيطر عليها. إن ما اخبرها اياه بول عن صديقه هو سبب إرتباكها. كانت ترفض التفكير بأن رايدر إنسان جيداً كما يدعي صديقه بول. كانت تفضل الاحتفاظ برأيها الأول فيه، هذا يسمح لها بأن تستمر باحتقاره، وتصر على عدم رؤيته من جديد...

أوه، بالتأكيد، يجب أن تعترف بأن حقدها كان مشبوهاً مشكوكاً فيه، فلماذا تلومه بهذا الشكل؟ لأنه نشر أشياء قالتها له عن موضوع مدير الشركة التي يعمل فيها والدها؟ لا... بصراحة، ليس هذا كل شيء.

ألم يكن سبب حقدها عليه كونه دفعها باللحظة التي كانت مستعدة فيها لمنحه نفسها؟ بالتأكيد، كان موقفه محترماً، ولكن هذا لا يربح بريانا ابداً. أن تُرمى بهذا الشكل موقف جرح مشاعرها بعمق شديد...

رفضت الاستسلام اكثر لآلام الذكريات، فحملت حقيبة يدها وخرجت من المنزل. كانت على وشك الذهاب إلى المؤسسة الثقافية عندما وصل بول. لا يزال امامها متسع من الوقت لزيارة المؤسسة.

لم تجد بريانا صعوبة في الوصول إلى المركز الثقافي، كان المبنى الكبير يظهر من بعد. بعد أن عبرت الباب الخارجي، اتجهت نحو المتحف التاريخي الذي كانت تتمنى زيارته.

المجموعة التي كان يضمها المتحف، كانت رائعة ومثيرة، تجولت بريانا بين الواجهات وتمكنت من تكوين فكرة عن ماضي هذا البلد ومجتمعه ومراحل تطوره، الهندي، الفرنسي، الاسباني، المكسيكي، الإلماني، كل هؤلاء هم أساس شعبه الراقي...

وشعرت بسعادة كبيرة وهي تتأمل احذية وملابس مطرزة قديمة تدل على فن وذوق كبيرين، وفجأة احست بأنها مراقبة.

ادارت رأسها ببطء، فالتقت نظراتها بنظرات رايدر الزرقاء... كان ينظر إليها بشكل جعلها تشعر باحمرار وجهها. وتذكرت بحزن كبير أنه نظر إليها بهذا الشكل قبل أن يقبلها في دالاس... شعرت بتوتر وارتباك وعضت على شفتها. وكأنه ادرك ارتباكها، فاخفض نظره واتجه نحوها على مهل. أوه، كمن رغبت بالهرب كي تختفي من أمامه للأبد.. لكنها لم تهرب، وواجهته بلهجة جافة.

«أليس لديك شيء آخر غير ملاحقتي؟».

«بلى...» اجابها مبتسماً.

«إذاً، ماذا تفعل هنا؟».

«لدي موعد مع رجل، لكنه لم يأت حتى الآن، انا انتظره...».

«ألهذا علاقة مع يومياتك؟» سألته بقلق وقد تذكرت حديثها مع بول.

«نعم».

فتركته واتجهت إلى إحدى الواجهات التي تعرض آثاراً هندية، فتبعها رايدر بدون تردد. كان يرتدي بنطلون جينز وقميص كارو وبوطاً قديماً، كان يبدو كراع بقر، خرج فوراً من مزرعته...

ازاد توتر بريانا أمام وسامته، واخذت تتلاعب بعصبية بسلسلتها الذهبية التي تتدلى من عنقها، أي موقف تتبناه؟ اتغادر المتحف؟ أتتوسل لرفيقها أن يتركها بسلام؟.

بصراحة وصدق، لم تكن ترغب بذلك... لكنها كانت تتمنى لو أنها تجلس أمام طاولتها وتستسلم لخيالها في مثل

www.elromancia.com

هذا الموقف! أمام أوراقها البيضاء لا تجد صعوبة في خلق الحوار المشوق. لكن في الواقع، تختلف الأمور كثيراً معها. حاولت أن تتمالك نفسها، لكن يبدو أن رايدر قادر على جعلها تفقد كل ثقتها بنفسها أمامه، إنها تشعر باختلال توازنها معه. . . اقتربا من عربة تعود للقرن الماضي، واعجبت بريانا بها كثيراً وتعجبت من بقاءها على حالتها الجيدة، لامس رايدر إحدى عجلاتها وقال.

«غير معقول! أهذه السيارة قادرة على السير حقاً؟» رغماً عنها، ابتسمت بريانا.

«نعم، إنه شيء مثير حقاً. . . لقد سافر الكثيرون في هذه العربة، واستعملوا كل الأدوات التي يعرضها هذا المتحف. كان لديهم مشاكلهم وأفراحهم، كان لديهم الحب والخوف. . . تماماً مثلنا نحن في هذه الأيام. . .».

امسك رايدر يدها بهدوء، وتابعا جولتهما معاً.

«اتتمنين لو وُلدت في عصر آخر؟» سألها رايدر.

«هل هذا استجواب غير مباشر؟» سألته بسخرية.

«لا، إنه مجرد حديث عادي» اجابها ضاحكاً.

«بهذه الحالة، جوابي هو لا، وانت؟».

فهز كتفيه واجاب.

«أوه، هذا يتوقف على. . . احيانا، أتأسف لأنني لم اعش في روما القديمة، يبدو لي انني كنت سأصبح سيناتور».

«سيناتور روماني؟» سألته بدهشة «لماذا؟».

«بسبب الخدع والاحتيالات السياسية. . . كان ذلك

شيقاً بدون شك!».

«انت تعلم بأن اكثرهم ماتوا ميتة شنيعة!» فهز كتفيه من جديد.

«ليس من الضروري أن يكون المرء سيناتور حتى يجازف بهذه المخاطر. . .».

فجأة انقبض قلب الفتاة، أصحيح أن رايدر في خطر، كما فهمت من كلام بول؟ في هذه الحالة، لماذا يستخف بهذا الوضع؟ أليس هو متمسكاً بالحياة؟.

«انا لا استطيع أن اتصورك في ملابس السيناتور!» قالت له ممازحة، وهي تحاول إخفاء قلقها.

«ولا انا ايضاً» اجابها ضاحكاً «افضل بنطلوني الجينز القديم!».

ثم توقفا أمام واجهة تعرض أدوات الحلاقة، فتأملت بريانا المعروضات باهتمام كبير، ولاحظت أن رفيقها نفذ صبره، كان يلقي كل لحظة نظرة على ساعة يده، ويبحث بعيونه عن الرجل الذي كان على موعد معه.

«ألم يات بعد؟» سألته بهدوء.

«لا، لقد اكتفيت من الانتظار، إذا كان يريد رؤيتي، سيتصل بي بالتأكيد» ثم سكت قليلاً ونظر في عيونها مباشرة.

«هل انهيت زيارتك؟» سألها بصوت هامس.

ازدادت دقات قلبها. كانت قد قررت البقاء في المتحف حتى ساعة إقفاله، ولكن لم يعد لذلك أية اهمية فجأة. بعد كل شيء، إنها في سان انطونيو لبضعة اسابيع،

www.elromancia.com

وبإمكانها العودة إلى المتحف مرة أخرى . . .

«نعم . . .» .

«إذاً . . . لماذا لا نتناول العشاء معاً؟ هل سبق لك أن زرت الباسيو ديل ريو؟» .

«لا» .

لم تكن مستعدة للاعتراف له بأنها لم تخرج إلى شرفة الفندق ولم تنظر إلى الشارع المشهور. وذلك فقط لأن رايدر كان قد أشاد بجماله . . .

«في هذه الحالة، انا مستعد لكي أكون دليلك، ايمكنني أن أمر عليك في الساعة الخامسة والنصف؟» .

لم يكن يجب على بريانا الاستماع له، ادركت ذلك اخيراً، فبعد تلك المجابهة بينهما، يعتبر قبولها لدعوته على العشاء ضرباً من الجنون. ولكن للأسف، لم تكن قادرة على مقاومة سحر هذا الرجل الذي يؤثر عليها . . .

«حسناً، موافقة» .

«اتحبين الطعام المكسيكي؟» .

«للحقيقة . . . لم اتذوقه من قبل» .

«يجب أن تجربيه! سأحجز طاولة في الكازا ديل ريو» .

«حسناً» .

«إلى اللقاء، بريانا . . .» همس رايدر بابتسامة حارة. ثم ابتعد بخطوات سريعة .

كانت بريانا قد اصبحت مستعدة في الساعة الخامسة والنصف تماماً، وترتدي ثوباً حريرياً يظهر رشاقة قامتها ويزيدها سحراً . . .

وعندما كان رايدر قد تركها في المتحف، لاحظت إنه ليس لديها سوى ساعة واحدة لكي تستعد. فأسرعت إلى منزلها، وكانت تخشى أن لا يسمح لها الوقت بالاستحمام والمكياج وكوي ملابسها . . . ومع ذلك نجحت في الاستعداد قبل الوقت المحدد بدقائق. تأملت ثوبها للمرة الأخيرة أمام المرآة بتوتر وعصبية، كان لونه أصفر يتناسب مع لون شعرها الأشقر، كانت تبدو وكأنها من عالم الخيال . . . ولكن أليس هذا الثوب مثيراً كثيراً؟ إنها تحبه كثيراً، لكن هذا المساء . . .

قطع رنين جرس الباب حبل أفكارها، فاسرعت لتفتحه وساقاها ترتجفان قليلاً، إنه رايدر يقف أمام الباب وقد ارتدى بدلة سوداء أنيقة جداً. تأملها بإعجاب كبير قبل أن يهمس:

«أيمكنني الدخول؟» .

اعادت هذه الكلمات بريانا إلى الواقع، لماذا تبقى مسمرة مكانها غير قادرة على الكلام، وقد احمرت وجنتاها، وزادت دقات قلبها؟ إنها بالغة، وهذه ليست أول مرة يواعدها رجل! بالتأكيد، ولكن الآخرين لم يكونوا بمثل سحر رايدر كنترل . . .

«نعم، بالتأكيد . . . انت في منزلك . . .» .

«لا، هذا المنزل منزلك . . . طالما انك تستأجريه، انا اقوم بزيارة فقط . . .» .

«اتريد أن تشرب شيئاً؟» سألته ببعض الحرج «حالياً، ليس لدي سوى القهوة اقدمها لك . . .» .

«لا شكراً» وتأملها من جديد «انت تشبهين فراشة ذهبية... رقيقة فاتنة...».

«شكراً... أنت ايضاً لست بشعاً...».

كانت الفكاهة وسيلتها الوحيدة للتغلب على ارتباكها الذي سببه كلام رايدر الشاعري.

«شكراً» اجابها مبتسماً.

«اتحاول أن تسخر مني صدفة؟» سألته بدلال.

«لا ابداً».

«آه! لقد طمأنتني...».

اقترب منها وامسك يدها بسرعة.

«اعتقد إنه من الأفضل أن نخرج فوراً» همس رايدر «وإلا، فنحن لن نتناول العشاء ابداً...».

كانت نظراته عميقة لدرجة أن الفتاة احست بأنها ترتعش، إن من الغباء أن تعرض نفسها لجروح جديدة، ولكنها غير قادرة على مقاومة الانجذاب التي تشعر به نحوه. ومجرد لمساته على ذراعها العاري كافية لإرباكها...

«هل وجدت صعوبة في حجز طاولة؟» سألته محاولةً تركيز تفكيرها.

«لا، لأن مدير الكازاديل ربو هو أحد اصدقائي».

«إذاً ليس لديك فقط اعداء؟» فهز كتفيه.

«اشخاص نادرون هم الذين اعتبرهم اصدقائي...» ثم سكت ورفع يدها إلى شفتيه.

«وانت بريانا؟» اضاف بصوت هامس عذب «ضمن أية

مجموعة تضعين نفسك؟ هل... سامحتيني؟».

حتى مساء الأمس، كان بإمكانها الإجابة على هذا السؤال. ولكن الآن، هي لا تعلم... وكي تكون صادقة مع نفسها، يجب أن تعترف بأنها لا تكن أي حقد له. كانت تحاول أن تنسى تصرفه معها، وكان جسدها يرفض أن يستمع لعقلها. ولم تكن قادرة على منع نفسها من الارتعاش أمامه...

منذ اللحظة التي رأت فيها رايدر في مكتبة دالاس، فقدت بريانا السيطرة على نفسها. الآن هي ترغب من جديد بهذا الرجل، وبشكل جنوني... كما وأنها ترغب بمعرفته اكثر، واكتشاف طريقة عيشه، وتفكيره وتصرفاته... قد يكون حقاً كما وصفه بول!.

«انا... احاول أن اسامحك» اجابته متلعثمة.

فابتسم بحنان كبير غريب.

«هذا جيد جداً كبداية».

تبعته بصمت إلى السيارة، والأمل بدأ يكبر في قلبها.

لم يتبادلا الكلام طوال الطريق، ولكن الصمت لم يكن ثقيلاً بينهما. كانت تسود بينهما عواطف منسجمة اكثر بلاغة من أي كلام...

عندما وصلا إلى الحي الذي يوجد فيه الفندق الذي كانت بريانا تنزل فيه، خرج رايدر عن صمته.

«اتمنى أن لا تكوني جائعة جداً! فنحن لن نتناول العشاء قبل الساعة التاسعة».

«الساعة التاسعة؟» سألته بدهشة.

www.elromancia.com

«نعم، انا اعددت لك مفاجأة صغيرة».

«حقاً؟» صرخت بفرح طفولي «أوه!قل لي ما هي!».

«لا مجال لذلك!» اجابها ضاحكاً «إذا كنت ترغبين، بإمكاننا أن نأكل سندويشاً خفيفاً يسمح لنا بالصبر حتى الساعة التاسعة».

«انت جائع؟».

وتذكرت فجأة شهيته للطعام التي اظهرها في دالاس.

«قليلاً» اجاب بدلال «لن ارفض بعض الناشوز».

«ما هذا الناشوز؟».

«يا إلهي! ماذا علموك في المدرسة، يا صغيرتي العزيزة؟ يجب أن يتطوع أحد للإشراف على تثقيفك، وانا مستعد لذلك... بكل سرور».

أخذت بريانا نفساً عميقاً، هذا الوقت ليس مناسباً للأحمرار.

«بهذه الحالة أيجب علي أن اناديك بروفسور كنترل؟» سألته ممازحة.

«إذا فعلت ذلك، لن اسمح لك بتناول الناشوز!».

«انت قاس حقاً! حسناً موافقة، لن افعل».

«قرار حكيم».

اوقف رايدر سيارته في شارع صغير محاط بالبنايات المرتفعة، وساعد رفيقته على النزول من السيارة. بعد أمتار قليلة وصلا إلى أعلى سلم حيث كان الناس يجلسون على الدرجات يستمعون إلى اوركسترا الماريانشي التي تعزف الحاناً جميلة على ضفة النهر.

لم يكن رايدر يكذب عندما أكد لها أن الباسيو ديل ريو مكان رائع. فالشارع الطويل المخصص للمشاة فقط كان مليئاً بالأزهار وبالجسور الخشبية الصغير وبمقاعد حجرية تحت الأشجار.

والثنائيون يتمشون في الممرات الممتدة حتى ضفة النهر، وآخرون يتنزهون بالمراكب الصغيرة بينما يلعب الأولاد تحت مراقبة أمهاتهم... تأثرت بريانا بهذا المكان الذي ما يزال على طبيعته، والتفتت نحو رفيقها وابتسمت بإشراق. ظل رايدر صامتاً لكن عيونه اشرقت ببريق ساحر...

ثم قادها نحو المكان حيث يقدمون فيه الناشوز. واكتشفت أخيراً أنه فطائر صغيرة من اللحم الناعم والجبنة والفلفل، وعندما عرض رايد على بريانا أن تتذوق فطيرة اختارها لنفسه، فتحت فمها بسرعة كطفلة صغيرة. كانت الفطيرة كبيرة لدرجة أن بريانا كادت تختنق. فانفجر الصحفي ضاحكاً وسعيداً لأنه استطاع أن يوقعها في الفخ...

تابعا نزهتهما مع هبوط الظلام. وكانت أشعة شمس المغيب تنعكس بخجل على مياه النهر، وتخلق جواً شاعرياً. تأثرت بريانا كثيراً بهذه اللحظات، وتأسفت لأن رايدر لا يحاول أن يكون حنوناً معها، كان يسير إلى جانبها ويداه في جيوبه كان يخاف أن يلمسها...

وصلا أخيراً إلى المطعم. كانت الطاولات موزعة على الشرفة المحيطة بالمطعم والتي تطل على المياه، كانت

الحركة نشيطة بداخله، والخدم مشغولون حول الزبائن. فتمنت الفتاة أن يكون رايدر قد حجز طاولة مطلة على النهر. لم يسبق لها أن تناولت الطعام في جو مشابه لهذا...

«رايدر!» نادى صوت رجل من خلفهما.

التفتا إلى الخلف، فوجدوا رجلاً أسمراً وسيماً يبدو انه من اصل مكسيكي، يبتسم لهما بإشراق.

«جايمز!» قال الصحفي وهو يشد بحرارة على يد صديقه.

«انا سعيد جداً لرؤيتك، يا صديقي... لقد مضت مدة طويلة لم نأت فيها إلى هنا».

«ولم آكل فيها طعاماً مكسيكياً لذيذاً!».

«انا سعيد بسماع ذلك!» اجابه جايمز وهو ينظر إلى بريانا بإعجاب شديد.

«ماذا تنتظر لتعرفني على هذه الآنسة الرائعة؟».

«انتبهي بريانا... إنه يعبد الشقراوات».

«انا صاحب ذوق، يا عزيزي...».

«نعم، لكنه يحب ايضاً ذوات الشعر الأحمر، والبني...» أضاف رايدر بمكر.

«حسناً، انا اعترف، كل النساء تعجبني!».

«ولهذا السبب، انا أنصحها بالحذر!» قال رايدر ضاحكاً.

«انت فظيع، رايدر إذاً هل ستقدمني إلى هذه الآنسة الفاتنة؟» انحنى رايدر بشكل رسمي.

«اسمحي لي أن اقدم لك جايمز دياغو راميريز، صاحب مطعم الكازا ديل ريو، جايمز، اقدم لك الآنسة بريانا سان كلير...».

«تشرفت بمعرفتك، آنسة سان كلير!» قال جايمز وهو يمد يده نحوها.

انسجمت بريانا بمرح الصديقين، ودخلت اللعبة معهما.

«الشرف الكبير لي انا» اجابته بابتسامة دلال.

ضحك جايمز ونظر إلى رايدر بمكر.

«آه، رايدر! اعتقد انك هذه المرة وجدت امرأة حياتك! هيا يا أعزائي، اقدم لكما كل بركتي!».

ونفذ القول بالفعل وضمهما كل واحد بذراع. كانت بريانا تنتظر أن يعترض رايدر على كلام صديقه، لكنه لم يفعل، وسأله ممازحاً.

«هل كل شيء جاهز؟».

«طبعاً» اجابه جايمز بفخر واعتزاز.

«اعتقد انك تريد ميدالية؟» مازحه رايدر.

«اتريدها من الذهب أم من الفضة؟».

«ألا يمكن أن احصل على الأثنين؟».

«يا لك من طماع!».

«حسناً، بهذه الحالة، سأكتفي بكلمة شكراً».

ضحك رايدز ثم ربت على كتف صديقه، وعاد للهجة الجد.

«انا اشكرك جايمز».

www.elromancia.com

«تسلي جيداً، يا صديقي العزيز» ثم التفت نحو بريانا «انت ايضاً، صديقة جديدة لي. ارجو أن تنتبهي على هذا الرجل، موافقة؟ أنه وحيد جداً...».

«فلنسرع، بريانا وإلا سيروي لك قصة حياتي كلها!» قال رايدر مبتسماً وهو يمسك يد الفتاة.

فتبعته بصمت، ولكن كانت كلما تقدمت بين الطاولات تحس بشعور كبير يدفعها للالتفات نحو جايمز. وعندما التفتت إلى الوراء، التقت بنظرات جايمز. وبدا لها أنها قرأت فيها شيئاً من القلق قريب من الصلاة...

«ماذا يحاول إفهامي؟» تساءلت وهي تبتعد مع رايدر وشعرت بانقباض في قلبها...

كان رايدر قد وعدها بمفاجأة. ولم يكن يكذب عليها. وبدل أن يقودها إلى إحدى الطاولات، قادها إلى ضفة النهر، نحو مركب صغير، تفاجأت الفتاة كثيراً عندما وجدت طاولة ممتدة على متنه، وتزينها باقة من أزهار التوليب البيضاء في مزهرية من الكريستال. وبجانبها خادم ينتظرهما مبتسماً...

«ايعجبك هذا؟» سألها الصحفي بهدوء.

«إنه رائع...» اجابته ولمعت عيونها بالفرح.

امسك رايدر يدها وساعدها في الصعود إلى المركب، وقدم لها كرسياً، ثم أشار بيده إلى الكابتن الذي شغل المحرك فوراً، وابتعد المركب ببطء إلى ان وصل إلى منتصف النهر.

تأثرت بريانا كثيراً والتفتت إلى الخلف تتأمل أنوار الكازا

ديل ريو المشعة بألوانها المتعددة. لو عاشت مئة عام، لن تنسى هذه اللحظات ابداً...

«اتريد أن تتذوق الخمر، سنيور؟» اقترح الخادم على رايدر وهو يدم له كأساً.

انتبهت بريانا من أحلامها، ونظرت إلى رفيقها وهو يشرب جرعة من الخمر، ثم هز رأسه برض كبير. هبت نسمة هواء طيرت خصلة من شعره واوقعتها على جبينه. فرغبت بريانا فجأة بأن تضع يدها على شعر رفيقها الأسود الناعم...

«انا سعيد لأن فكرتي اعجبتك...» همس رايدر.

«إنها فكرة رومنسية رائعة» اجابته بسرعة محاولة أن تتمالك نفسها.

«هذا يتناسب مع كاتبة روايات الحب، اليس كذلك؟» مازحها بلطف «اتمنى أن يعجبك ايضاً الطعام الذي طلبته».

«انا متأكدة من ذلك».

لم يضف رايدر شيئاً، وظل يتأملها بصمت، والظلام يلفهما ونور مصابيح المركب الخفيفة تنعكس على نظراتها...

بعد ساعة تقريباً، عاد المركب إلى الرصيف. وفي هذه الساعة اكتشفت بريانا أن الطعام المكسيكي لذيذ جداً، الانشيلاداس التاكوس، الفاصوليا الحمراء... كلها كانت شهية.

كذلك كان حديثهما مثيراً، كانا قد ثرثرا بكل شيء.

www.elromancia.com

وشعرت بريانا أنها اصبحت تعرف هذا الصحفي أكثر. الآن هي تعلم أنه من مشجعي فريق الباسكيت المحلي، وأنه عضو في نادي السيارات، وأنه فاز بالمرتبة الثانية في السباق الأخير الذي اشترك فيه. وإن سنواته التي قضاها في الجامعة كانت أجمل فترة في حياته. . .

عندما غادرا المركب، لم يعودا فوراً إلى السيارة، لكنهما قاما بنزهة جديدة على ضفة النهر. هذه المرة كانا يسيران كعاشقين يداً بيد. يتمتعا بصمت وهدوء المساء.

شيء جديد أظهر تغيراً في علاقتهما. العداء الذي كانا يظهراناه حتى الآن، اختفى. . .

في السيارة جلست بريانا على مقعدها وتنهدت بسرور. هذه السهرة كانت رائعة، قريبة من الكمال، وكل هذا بفضل رايدر. . . التفتت نحو رفيقها، وتأملته قليلاً وهزتها مشاعر وانفعالات قوية. لم تستطع تحديد مشاعرها تجاه هذا الرجل بشكل دقيق، مع أنها كانت متأكدة إنه ليس مجرد رغبة جسدية فقط. هناك شيء آخر، اكثر عمقاً واكثر غرابة. . .

عندما توقفا أمام منزلها، احست الفتاة بتوتر شديد مفاجيء ماذا تفعل؟ اتقترح عليه أن يدخل لشرب كأس أخير؟ كيف سيفسر هذه الدعوة؟ إنها لا تريد ارتكاب هفوة تفسد فيها كل شيء. . .

لحسن الحظ، وفر عليها الصحفي هذا الإحراج، ونزل من السيارة وفتح لهاالباب، فمدت له يدها مبتسمة. ودون أن تنطق بأية كلمة تقدمته نحو المنزل.

صعدت الدرجات الثلاث واخرجت مفاتيحها من حقيبة يدها، إن المشهد الذي حصل في دالاس يتكرر الآن. . . ولكن هذه المرة كانت اصابعها ترتجف لدرجة أنها لم تتمكن من إدخال المفتاح في القفل. فاضطر رايدر لمساعدتها. . .

«اترغب بفنجان من القهوة؟» سألته متلعثمة فور دخولهما.

«بكل سرور. . .».

فاسرعت إلى المطبخ، وشعرت ببعض الراحة لأنها وجدت نفسها وحيدة للحظات، كانت بحاجة لترتيب أفكارها. ولكن للأسف، انضم رايدر إليها بسرعة.

«انا لم آت إلى هنا منذ سنوات طويلة، ايزعجك أن القي نظرة على المنزل ريثما تعدين القهوة؟».

«لا. . . لا، ابداً. . .».

بجهد كبير. تمكنت بريانا من السيطرة على حركات يديها، إن وجود رايدر متكأً على الطاولة الخشبية يزيد من توترها. . .

«اتقصد انك لم تدخل إلى هذا المنزل منذ سنوات؟».

«بالفعل».

«لقد اخبرني بول بأن والديك توفيا، اناآسفة من اجلك. . .» عقد رايدر حاجبيه وبدا عليه التأثر.

«إنه القدر. . .».

«كيف حصل ذلك؟».

«توفيا بحادث سيارة. كانا في طريق عودتهما بعد أن

www.elromancia.com

اوصلا شقيقتي إلى جامعة اوستن، فانقلبت سيارتهما واشتعلت. . .».

«أوه، هذا فظيع. . .» قالت بخوف وحزن. . .

«نعم».

«هل اضطررت لنقل الخبر لأختك بنفسك؟».

«نعم» اجابها واخفض رأسه.

«لا بد إن هذا كان أمراً صعباً».

«جداً».

«وتوفيت شقيقتك في العام التالي، اليس كذلك» أضافت بتردد.

«نعم».

«لم تكن كبيرة، أليس كذلك؟».

«كانت في التاسعة عشرة من عمرها فقط».

«وكيف حدث ذلك؟».

أمام صمت الصحفي، إحمرت وجنتا بريانا أن فضولها ليس مناسباً. هي لا تمثل شيئاً بالنسبة لهذا الرجل، ولا يحق لها أن تحاول معرفة أسراره.

«اعذرني» اعلنت بسرعة «لم يكن يجب علي أن اطرح هذا السؤال».

«لقد توفيت أثناء عملية إجهاض مخالف للقانون. . . كانت تلك مذبحة حقيقية» لشدة مفاجئتها، وقع الفنجان من يد بريانا، وتحطم على الأرض.

إذاً هذا هو الأمر! لهذا السبب، أشار رايدر في مقاله إلى أن الروايات العاطفية تؤثر احياناً بشكل سلبي على

المراهقات، وتدفعهن للقيام بعلاقات جنسية دون الاكتراث بالمخاطر التي قد تنتج عن ذلك! كيف أمكن ذلك؟ رايدر ذكي، متعقل، وليس رجلاً محدوداً ليكون مقتنعاً بما كتبه!.

وفجأة أعادها إلى الواقع اقتراب رايدر منها، ولم تشعر إلا وهي بين ذراعيه، فرفعت عيونها المتلألئة بالدموع نحوه.

«أوه، يا إلهي. . . انا فعلاً آسفة. . .» قالت له بأسف شديد، عقد رايدر حاجبيه وتأملها بنظرات غريبة.

«لا، لا تتأسفي. ليس لهذه القصة أية علاقة بك، انا. . . كان مقالي غبياً، بريانا. . .».

فنظرت إليه بدهشة كبيرة. هل هي تحلم، أم أن رايدر اعتذر حقاً؟

«هل جرحت يدك؟» سألها بقلق وهو يمسك يدها «لقد انفجر الفنجان كأنه قنبلة. . .».

«لا شيء مهم» تمتمت بذهول وهي لا تزال تحت تأثير الصدمة.

«الأفضل أن تطهري يدك، قد تكون نثرات البورسلان لا تزتال عالقة في جلدك».

فأطاعته بهدوء، وبينما اخذ ينظف الأرض، التفتت نحوه من جديد، ولاحظت إنه كان يتأملها.

«لماذا لا نجلس في الصالون؟» اقترح عليها بهدوء «سأحضر لك القهوة».

فهزت رأسها بطريقة آلية، ودخلت إلى الصالون

www.elromancia.com

وجلست على الكنبة. بعد لحظات انضم إليها الصحفي، ووضع صينية القهوة على الطاولة الصغيرة ثم جلس قربها.

كانت القهوة كثيفة، فسرت بريانا، كانت بحاجة كبيرة لشيء يهدىء توترها، ويقضي على الضعف الذي احست به بعد اعترافات رايدر.

«ارجو أن تعذرني...» قالت له متلعثمة «لقد اجبرتك على احياء ذكريات أليمة».

«لقد رويت كل ذلك بكامل ارادتي. كان بإمكاني أن لا اجيب على أسئلتك لو شئت».

«لم يكن يجب عليك أن تعتذر عن... مقالك» أكدت له بخجل.

«بلى، كان يجب علي ذلك، انا احاول دائماً أن اقوم بمهنتي بكل صدق ممكن. ولكني لم اكن شريفاً معك، كما وانني...».

وسكت ولم يتابع كلامه، وهز كتفيه قليلاً.

«إلا انني لم اكن اتصور إن اعترافاتي هذه ستربكك لدرجة أن يقع الفنجان من يدك...» أضاف بمكر.

«سبب هذا صدمة لي، اعترف بذلك».

«ارجو أن تعذريني» همس وهو يداعب خدها بحنان.

ارتعشت بريانا وأدارت وجهها كي لا يلاحظ انفعالها.

«هل أفسدت هذه السهرة تماماً؟» سألها بصوت ضعيف يرتجف من القلق الصادق.

«لا...».

«هذا افضل...» وابتسم واقترب منها أكثر.

www.elromancia.com

لم تتحرك بريانا، واخذ قلبها يدق بسرعة. كانت تعلم بأن رايدر سيضمها إليه، كانت تقرأ ذلك في عيونه... وعندما قبلها، لم تستطع منع نفسها من مبادلته القبلة بالقبلة، كانت شفتاه دافئتين ويداه قويتين... كانت تحترق من الرغبة في الانضمام إليه أكثر، والاستسلام لعناقه، ولكنها لم تنس ما حصل في دالاس. كان قد تركها حينما رغبت في الاستسلام له كلياً. لن تسمح الآن بتكرار ما حدث.

يجب أن تضع حداً لهذه القبلات قبل أن يفت الأوان. بعد لحظات، لن تمتلك القدرة على مقاومة رغباتها...

يا إلهي، إن تبتعد عن ذراعي هذا الرجل هو شيء فظيع، ولكن يجب عليها ذلك... وابتعدت عنه أخيراً، وهي ترتجف.

«احب تقبيلك، بريانا...» تنهد بصوت يرتجف من الرغبة «احب أن اضمك إلى صدري وأتلمسك...».

وتأملها بعيون تلتهب بالحنان. واحست بأصابعه تتوقف على كتفيها، لقد فهم أنها ترفض الاستسلام له...

«اعتقد أنه من الافضل أن اذهب الآن» وابعد يديه عنها «اليس كذلك؟».

لم تجبه بريانا، واحست بجفاف في حنجرتها لدرجة أنها لا تستطيع التلفظ بأقل كلمة، كانت ترغب بأن تصرخ وتدعوه للبقاء... لكنها كانت تعلم بأن هذا سيكون خطأ كبيراً. أن موقف رايدر منها تغير كثيراً منذ بداية هذه السهرة. إذا سمحت له بقضاء الليلة هنا، ماذا سيحصل

غداً؟ هل سيرغب ايضاً برؤيتها؟.

نهضت بريانا، وتجاهلت الأسئلة التي تتزاحم في رأسها، وتقدمت رفيقها نحو الباب، هناك التفت رايدر نحوها، وابتسم ابتسامة خجولة.

«انا اشكرك على مرافقتي...» وداعب خدها المشتعل بأصابع يده، وأضاف بصوت ناعم «انتبهي على نفسك بريانا» وخرج واغلق الباب وراءه.

هذه الليلة، لم تستطع بريانا النوم بسهولة، ولم تتمكن من إيجاد الهدوء، ومن التخلص من الأسئلة التي ترهقها.

متى سترى رايدر من جديد؟ حتى أنه لم يشر إلى أنه سيتصل بها، وهي امتنعت عن القيام بالمبادرة. كان يجب عليها أن تصبر ولا تستعجل الظروف.

أوه، يا إلهي، إنها تكره الانتظار! لأول مرة في حياتها، التقت بالرجل الذي كانت ترغب بالتعرف به بشكل جنوني، إنه الرجل الذي تتمنى أن تكتشف الحب معه...

ولكن هو، ماذا يشعر نحوها؟ أنها تعجبه، هذا شيء واضح، إلا إنه حتى ولو اعترف لها هذا المساء ببعض أموره الخاصة، سيبقيها بعيدة عن حياته كانت تشعر بأنه يتمالك نفسه بحذر شديد، حتى أنها احست احياناً بأنه يضع مسافة بينهما.

ماذا سينفعها العذاب بهذا الشكل؟ بعد كل شيء، إنهما لم يتعارفا سوى منذ أيام فقط، يجب أن تترك الوقت يتكفل بكل شيء، قد يتمكن الوقت من التقريب بينهما...

«نعم، يجب ذلك» قالت بصوت مرتفع وهي تربت على وسادتها «يجب أن اتعلم السيطرة على نفسي وأن أتحلى بالصبر، وأن امنح كلينا فرصة أكبر...».

خلال الأسبوع التالي، انغمست بريانا في العمل. وكانت تقضي معظم وقتها في مكتبة المركز الثقافي. تدرس كل شيء يخص تلك الفترة من التاريخ التي ستدور خلالها أحداث روايتها القادمة. لقد جمعت حتى الآن ملفاً مهماً.

ولم يكن رايدر قد اتصل بها أو حاول رؤيتها... الوسيلة الوحيدة التي كانت تربط بينهما هي يومياته التي تنشر في صحيفة الشمس، والتي اصبحت بريانا من قرائها المخلصين، اعجبت كثيراً بأسلوب الصحفي، وبطريقته في استعمال الفكاهه ليشير بها إلى الحرب التي يخوضها ضد كل أنواع المخالفات الظاهرة في المجتمع وفي السياسة.

كما وأنها بدأت تفهم لماذا يدعي أن لديه اعداء في ولاية تكساس... مثلاً، في مقال نشره مؤخراً، شهّر بتعامل شركة عقارية، لقد حاولت هذه الشركة اقناع رجل عجوز بالتخلي عن منزله من ا جل انشاء بنايات حديثة على هذه الأرض.

وتوسط هذه الشركة عن طريق الخداع، جعل العجوز فريسة للممولين الذي يحلمون بالأرباح السريعة والغير قانونية...

في صباح يوم السبت، كانت الفتاة على وشك تناول فطورها عندما رن جرس الهاتف. فانتفضت وتأملت الهاتف

بطرف عينها، أيمكن أن يكون رايدر؟.

وجمعت كل شجاعتها ورفعت السماعة.

«بريانا؟ انا آن... كيف حالك؟».

يا إلهي، كانت قد نسيت آل داينالز تماماً! كان يجب عليها الاتصال بهم قبل الآن بكثير...

«آن!» صرخت بريانا بفرح صادق «انا بخير، وانت؟».

«انا بخير ايضاً... كنت مترددة وانا اطلب رقم هاتفك» اجابتها آن بمرح.

«كان يجب ان اتصل بكما بنفسي. لقد تصرفت كطفلة صغيرة، لم يكن يحق لي أن احملكما مسؤولية مشاكلي مع رايدر».

«كم انا سعيدة بسماعك تتكلمين هكذا! بول وانا آسفان جداً! اعتقدت انت اننا خدعناك، لكن هذا ليس صحيحاً. هل انت مقتنعة الآن؟».

«تماماً... فلننسى كل هذه القصة، موافقة؟».

«طبعاً موافقة!» اجابتها آن بسرور كبير. لماذا لا نتناول الغداء معاً غداً؟ بإمكاننا أن نقضي فترة بعد الظهر معاً؟».

«هذه فكرة رائعة! في أية ساعة يجب أن اصل؟».

«نحن نتناول الغداء في الساعة الثانية عادة، ولكن بإمكانك المجيء ساعة تشائين. سنشوي اللحم في الحديقة، وساعد حلوى ستعجبك حتماً...».

«رائع! إن دعوتك تغريني حقاً، آن... انك وبول صديقاي الوحيدان في هذه المدينة».

«شكراً على هذا الكلام... سأنقله إلى زوجي بكل

سرور، وسيسعد به كثيراً، كنا نخشى أن لا نراك ابداً!».

«إلى اللقاء آن.. انا بانتظار الغد على أحر من الجمر!».

في صباح اليوم التالي، استيقظت بريانا متأخرة. وهي منذ ذلك العشاء مع رايدر والنوم يهرب منها. كانت تبقى ساعات طويلة في الظلام، تتأمل، تفكر، تتذكر وتتساءل... تتساءل إذا كان الصحفي حقاً في خطر إن كلمات بول لا تزال تتردد في إذنيها، وكذلك نظرات القلق في عيون صاحب مطعم الكازا ديل ريو... كانت تفكر بطلاق رايدر، لماذا فشل زواجه الأول؟ كيف كانت زوجته السابقة؟ ألا يزال يحبها؟ أيفكر في العودة لها؟».

عند الظهر، غادرت بريانا المنزل. فمرت على السوق، واشترت بعض الحاجيات، ثم توقفت امام بائع أزهار، واشترت باقة كبيرة من الأزهار الملونة لتقدمها لآن. ثم اتجهت نحو منزل آل دانيالز، وكانت تعلم أن وقت الغداء لا يزال باكراً، ولكن آن قالت لها بأنها بإمكانها أن تأتي ساعة تشاء.

ما إن وصلت إلى المنزل، حتى رأت سيارة رايدر متوقفة إلى الجانب الآخر من الشارع. لو رأت هذه السيارة قبل أسبوع لكانت غضبت كثيراً، لكنها هذه المرة شعرت بأنها سترقص من الفرح...

لم يكن رايدر قد اتصل بها، ولا زارها، حتى إنه لم يحاول أن يعرف إذا كانت لا تزال على قيد الحياة. ولكن كل هذا ليس مهماً، إنها سعيدة جداً لأنها ستراه...

www.elromancia.com

نزلت من سيارتها بسرعة، واتجهت نحو باب المدخل، ورنت على الجرس وقلبها يدق بسرعة، وقد ازداد بريق عيونها الخضراء. كانت تعلم بأنها بهذا الشعر المنسدل على كتفيها، وبنطلونها الشورت الأحمر، وقميصها الأبيض تبدو فاتنة، وهذا ما جعلها تشعر بالإطمئنان... فتحت لها آن الباب، وكانت تبدو منفعلة ومتوترة جداً.

«بريانا... رايدر هنا، لم انجح في التخلص منه!» قالت لها بسرعة وهي تتلعثم بكلماتها.

حاولت بريانا أن لا تظهر فرحها. لم تكن تريد أن تبدو كفتاة صغيرة أمام آل دانيالز.

«لا تقلقي، آن هذا لا يزعجني...».

تأملتها آن بحيرة وتردد.

«هل انت متأكدة؟».

«نعم... تفضلي، هذه الباقة لك» اجابتها وهي تقدم لها باقة الأزهار.

«أوه، شكراً بريانا...».

واتجهت الإمرأتان إلى الصالون، ولم تتمكن بريانا من منع نفسها على النظر من النافذة على أمل ان تر الصحفي.

«إنهما في الحديقة» قالت آن التي كانت لا تزال تحت تأثير المفاجئة. ثم هزت رأسها وقالت بدلال.

«يجب أن يتكرم أحد ويشرح لي الموقف. اشعر بأن هناك أشياء تفوتني معرفتها...».

«انا... سأضع الأزهار في الماء...» قالت بريانا بسرعة محاولة أن تتهرب من أسئلة آن.

«يوجد مزهرية فوق الثلاجة».

«حسناً... لا تتحركي انت» أجابتها بريانا وأخذت باقة الزهر من يدها واسرعت نحو المطبخ. هناك عندما وقفت أمام المغسلة رأت رايدر اخيراً. كان مع بول قرب الكاراج يتفحصان سيارة بول، كان يرتدي بنطلون جينز وقميص مقلم... كان بكل بساطة رائعاً...

«هل وجدت المزهرية؟» سألتها آن فجأة وهي تقف خلفها.

انتفضت بريانا، ولم تكن قد انتبهت للإناء الذي كان يطفح بالماء منذ دقائق...

«إيه... نعم... لقد امتلأ الإناء...» اجابتها متلعثمة.

«هذا ما أراه بوضوح...».

احمرت وجنتا بريانا، والتفتت نحو آن التي كانت عيونها تلمع ببريق المكر.

«يبدو لي انني قرأت في إحدى المجلات أن الزهور بحاجة للماء البارد كي تدوم طويلاً...» شرحت لها وقد زاد إحمرار وجهها.

«لا بد انك قرأت هذه النصائح في مجلة سيدة المنزل» اجابتها آن ضاحكة.

«نعم بدون شك...».

«بالتأكيد... للحظة، اعتقدت أن شرودك على علاقة مع وجود رايدر...».

دون أن تجيبها، ركزت بريانا انتباهها على تنسيق الزهور

www.elromancia.com

التي بين يديها. لا، هذه الزهرة ليست في مكانها...

«لأن، كما ترين، لرايدر تأثير غريب على النساء...» أضافت آن بسخرية لطيفة «ما إن يظهر في مجال الرؤية، حتى تبدو كل بنات حواء شاردات!».

لحسن الحظ، دخل الرجلان في هذه اللحظة، وخلصا بريانا من الإحراج.

«نهار سعيد!» صرخ بول «كم انا سعيد بوجودك هنا!» أضاف وهو يشد على يدها بحرارة.

فابتسمت له بحرارة مماثلة.

«انا ايضاً سعيدة جداً بدعوتكم لي...».

وكانت تحاول أن تتمالك دقات قلبها، فالتفتت نحو الصحفي الذي كان يقف عند العتبة، ويتأملها جيداً ويحدق بساقيها الطويلين وخصرها النحيف، وشعرها الأشقر الطويل المسترسل على كتفيها...

«نهارك سعيد، رايدر...» قالت له بصوت ضعيف «لم اكن اعتقد انني سأجدك هنا...».

«ولا انا ايضاً...».

وبجهد كبير ليتمالك نفسه، تقدم نحو آن وداعب خدها بمحبة.

«الآن، فهمت لماذا كنت لا تتوقفين عن سؤالي إذا لم اكن قد تأخرت على عملي...» قال لها ممازحاً، فاحمر وجهها آه.

«كيف كان بإمكاني أن اتكهن بأن الأمور تتغير بينكما؟ آخر مرة التقيتما فيها تحت سقف منزلي، كانت بريانا تريد

أن تخنقك، وانت لم تكن بأفضل منها!».

«الذين يتحاربون كثيراً، يتخاصمون اكثر...».

تظاهرت بريانا بأنها لم تسمع شيئاً، كانت تفضل أن لا تعرف إذا كان جاداً فيما قاله، أم أنه مجرد مزاح...

«عظيم!» قالت آن «بما انكما لم تعودا متخاصمين، لماذا لا تتناول الغداء معنا، رايدر؟».

«للأسف، لدي موعد هام بعد دقائق قليلة، ولكن... إذا كان بإمكانكم انتظاري...».

«بالتأكيد!» تدخل بول «هيا اسرع وعد قبل أن نموت من الجوع!».

«اعدك بأن لا اتأخر... إلى اللقاء» قال وهو يلتفت نحو بريانا.

«إلى اللقاء» اجابته بصوت هامس.

هل كانت تحلم؟ أم أنها رأت في عيون الصحفي بريقاً خاصاً؟.

كانت شعلة غريبة تتوهج في عيونه كأنها وعد... وعندما خرج رايدر احست فجأة بأنها تائهة... لكن صوت آن أعادها إلى الواقع.

«ما رأيك لو نشرب العصير بينما يهتم بول في مشواة الفحم؟».

«حسناً».

وتبعتها إلى الشرفة، وجلستا على مقاعد مريحة تشربان عصير الفاكهة. تنهدت بريانا واغمضت عينيها للحظة.

«ما هي حقيقة مشاعرك نحو رايدر؟» سألتها آن فجأة

www.elromancia.com

بصوت هادىء.

تفاجأت بريانا بهذا السؤال لدرجة أنها كادت توقع كوبها من يدها.

«انا.. انا لا افهم...».

ابتسمت آن بمحبة.

«انا لست عمياء، بريانا...».

«ولكني لا...».

«اطمئني، انت لست مضطرة للاعتراف لي، لكنني احب أن تستمعي لي قليلاً...» ثم سكتت وكأنها تحاول جمع أفكارها وأضافت ببعض التردد.

«رايدر صديق عزيز، وانا اعتبره أخاً لي... ولهذا السبب انصحك بأن تكوني حذرة معه. أنه مختلف جداً عن كل الرجال الذين يمكن أن تلتقيهم في حياتك، أنه... بإمكانه أن يعذب النساء اللواتي يتعلقن به كثيراً...».

«انت تقصدين أنه يتلاعب بعواطف النساء ؟».

«أوه، انا لا اقصد أن انتقده!» وتنهدت آن بحزن «انا احبه كثيراً، ولكني اكن لك مشاعر الصداقة ايضاً، ولهذا السبب اتكلم هكذا... رايدر مرّ بمراحل صعبة وبتجارب اصعب، وجروحه لم تندمل نهائياً...».

«هذا يعني؟» سألتها بريانا وهي تبلع ريقها بصعوبة.

«حسناً... أتعلمين بأنه كان متزوجاً؟».

«نعم».

«كانت زوجته السابقة سيئة جداً! لم تكن تهتم ابداً

بزوجها، ولم تكن تفكر سوى باستغلاله. الجميع كانوا يعلمون ذلك، ولكن رايدر كان يرفض أن يفتح عينيه ليرى حقيقتها، كان لا يزال شاباً صغيراً! تزوج في سن الرابعة والعشرين فقط...».

«هل دام زواجهما طويلاً؟».

«ستة سنوات... جعلته يعيش جحيماً حقيقياً، وكلنا كنا نتساءل كيف استطاع أن يتحملها كل هذه المدة...» ثم سكتت آن من جديد، وتنهدت وأضافت.

«واخيراً تطلقا، لكن رايدر خرج من هذه التجربة منهاراً، وبعد ذلك، توفي والديه، وشعر بأنه مسؤول عن وفاتهما، بالفعل، كان يجب عليه هو أن يعيد أخته إلى اوستن. لكن مقابلة صحفية منعته في الدقائق الأخيرة فذهب والداه مكانه. وعندما توفيت أخته ماليسا في السنة التالية، اعتقدت أن رايدر لن يخرج من هذا الحزن الجديد، لا اريد أن ادخل بالتفاصيل، ولكن رايدر كان مقتنعاً بأنه كان بإمكانه أن يتجنب هذه المأساة، لو كانت ماليسا تثق به ولو كانت كلمته عن مشاكلها...».

ظلت بريانا صامتة تحاول حبس دموعها، لم تكن ترغب بأن تقول لآن بأن برايدر شرح لها هذه المأساة...

«منذ ذلك اليوم، وهو يعيش في عزلة...» أضافت آن «كأنه فقد إمكانية الانفعال، وكرس كل وقته لمقالاته وحصر صداقته بنا وببعض الأصدقاء القليلين جداً، بالطبع كان له علاقات... لكن قلبه لم يخفق لأية إمرأة...» ثم نظرت بصدق إلى بريانا.

«انا آسفة، بريانا... كنت اريد فقط أن احذرك كي تتجنبي الدموع الغير ضرورية...».

لم تجبها بريانا. لم تكن تعرف ماذا تقول.. بالتأكيد كان بإمكانها أن تؤكد آن بأنها لا تشعر بشيء تجاه الصحفي، لكنها كانت تعلم ايضاً أن آن ليست غبية.

عندما عاد رايدر، وجدت بريانا نفسها مضطرة للإعتراف بأن كل تطميناتها النظرية ميئوس منها.. كانت في المطبخ تثرثر بمرح مع آن، عندما وصل الصحفي. كانت مشغولة في تقطيع البندورة عندما احست فجأة بوجود أحد إلى جانبها.

دون أن تدير رأسها، احست فوراً بهوية صاحب الجسد الذي حرارته تحرقها. ارتعشت ودق قلبها بسرعة، وكادت السكينة تلامس كم قميص رايدر...

«هاي! انتبهي وانت تحملين هذا السلاح آنسة!» قال وهو يلتهم قطعة بندورة «انا اريد أن اشارككم هذا الغداء، لكنني لا ارغب في أن اكون طبقكم المفضل!».

عندما التقت نظرتها بنظراته الماكرة، تأكد لها شيء قوي، لقد وصلت إلى نقطة لا يمكن الرجوع عنها... هذا الرجل اصبح يشكل جزءاً من وجودها. يجب أن تقبل هذه الحقيقة، وتتحمل بشجاعة كل ما ينتج عنها، بما فيها العذاب...

«إذا كنت تريد البقاء حياً، لا تمد يدك إلى السلطة قبل أن تصبح على المائدة» قالت له مهددة.

ابتسم رايدر والتفت نحو آن التي تراقبهم باهتمام.

«هذه البندورة لك انت، يا عزيزتي آن... ايمكنني أن ابتلع قطعة أخرى؟».

قلبت آن شفتيها بمعنى أنها تفضل البقاء على الحياد.

«لو كنت مكانك، لأطعت الأنسة...» اجابته ضاحكة أخيراً «انتبه أنها دائماً مسلحة».

نظر رايدر من جديد إلى عيون بريانا.

«انا مستعد للمخاطرة!» اجابها بابتسامة شيطانية.

ثم نفذ القول بالفعل وسرق قطعة بندورة بسرعة وابتلعها دون أن يترك لبريانا فرصة وابتعد مسرعاً وهو يضحك...

مرت فترة بعد الظهر كأنه حلم. وكانت الشمس قد بدأت بالمغيب عندما انضمت لمضيفتها في المطبخ لتنظيف الأطباق. وظل الرجلان في الحديقة.

كانت بريانا تجفف الأطباق عندما لاحظت أن آن جلست على كرسي والتعب بادياً على وجهها الشاحب.

«انت بخير آن؟» سألتها بريانا بقلق.

«يبدو انني استعد لإنجاب طفلي بين لحظة وأخرى» انتفضت بريانا بخوف.

«بين لحظة وأخرى؟ اتشعرين بآلام المخاض؟».

«نعم... لقد بدأ ذلك منذ قليل... لكن الآلام بدأت تقترب اكثر...».

«يا إلهي! لماذا لم تقولي قبل الآن؟».

«بريانا...» قالت آن وهي تحبس آلامها «اعتقد أنه من الأفضل أن تضعي الماء على النار. لن يتأخر الطفل كثيراً...».

www.elromancia.com

هذه الكلمات احدثت صدمة كبيرة في نفس بريانا، فصرخت بكل قوتها من نافذة المطبخ المفتوحة.

«بول! اسرع! آن على وشك الوضع!».

ركض بول باقصى سرعة إلى المطبخ وانضم لزوجته، فنظرت إليه آن بنظرات ملؤها الحب.

«لقد حان الموعد أخيراً، يا عزيزي...» وشدت على أسفل بطنها من الألم الذي عاد فجأة.

للحظة ظل بول مذهولاً، وكأنه تلقى صدمة عنيفة. وشحب وجهه ووقف شعر رأسه. وأخيراً تمالك نفسه وقال متلعثماً.

«سأحضر حقيبتك...».

وابتعد متعثراً، وعاد بعد لحظات يحمل حقيبة صغيرة بيده.

«ايمكنك أن تسيري حتى السيارة؟» سألها بصوت مرتجف.

«نعم، بالتأكيد...».

«إذاً، الأفضل أن نذهب إلى المستشفى بسرعة، اليس كذلك؟».

«اعتقد ذلك...» أجابته آن بابتسامة حنونة.

ساعدها بول في النهوض، وساعده رايدر الذي كان ينظر إليهما بمحبة.

«هل انت متأكد انك تستطيع القيادة؟» سأله رايدر بلطف.

«نعم...».

«إذاً سننضم إليكما في المستشفى، حظاً موفقاً، يا عزيزتي...» قال وهو يقبل آن بحنان.

ما إن ابتعدت سيارة آل دانيالز، التفت رايدر نحو بريانا.

«من غير الضروري أن نأخذ السيارتين، اليس كذلك؟ على كل حال، سأعيدك إلى هنا بعد عودتنا من المستشفى لتأخذي سيارتك...».

مع أن آن واجهت صعوبات في فترة حملها الأولى، إلا أنها أنجبت طفلها بدون صعوبات غير عادية. كانت بريانا ورايدر وجدا وجدتا المولود الجديد يقطعون غرفة الانتظار والممر ذهاباً وأياباً بتوتر شديد، عندما خرج بول من غرفة الولادة مشرقاً بالسعادة.

«أنها فتاة!» قال وهو يربت على ظهر رايدر «أنها رائعة» أضاف وهو يشد على يد بريانا بحرارة «آن بألف خير».

وكان قد بقي مع آن يشد على يديها طوال وقت الوضع، لم يكن يتخيل أن حضور ولادة أول طفل له سيكون مؤثراً لهذا الدرجة. إنها اجمل أيام حياته...

التفتت بريانا نحو رايدر فوجدت أنه يتأمل صديقه بفخر وتأثر شديدين.

«أيحق لنا أن نذهب لرؤية ربيكا الصغيرة؟» سأله رايدر «أليس هذا هو إسمها؟».

«طبعاً، ربيكا...» أجابه بول بسعادة كبيرة.

كانت الصغيرة جميلة جداً كما قال والدها. لونها أحمر، لكن شعرها الخفيف أسود... كانت نائمة، وتضع قبضة

www.elromancia.com

يدها الصغيرة على فمها. . .

«انا لا اصدق أنها حقاً هنا. . .» همس بول وكأنه يخشى أن يزعجها «هذا الصباح، كنا انا وآن وحدنا، والآن. . .».

ثم سكت لشدة انفعاله، واحست بريانا بأن الدموع تكاد تطفر من عينيها، أنها سعيدة جداً لأجل آل دانيالز، وكيف لا يمكن أن تتأثر أمام حياة جديدة تبدى، وأمام هذه الطفلة البريئة النائمة؟

وفجأة لاحظت أنها مراقبة، فالتفتت بهدوء، ولاحظت أن الصحفي يتأملها بنظرات غريبة، فحاولت الابتسام لكنها لم تستطع. . . واحست بالإحراج، فابتعدت بسرعة، لا بد أنه يعتبرها سخيفة لأنها بكت هكذا. . .

بعد قليل، توجها إلى غرفة آن، وكانت مشرقة من الفرح، وقد ازدادت جمالاً أكثر من قبل، كان بول يتأملها بحب كبير، مما اضطر بريانا لتمالك نفسها كي لا تبكي. . .

كانت الساعة قد اصبحت التاسعة مساء عندما غادرا المستشفى. في السيارة لم تستطع بريانا أن تتمالك تنهيدة تدل على تعبها.

«كان نهاراً طويلاً، اليس كذلك؟» سألها رايدر بهدوء.

«خاصة بالنسبة لبول وآن. . .».

«نعم. . . انا احمد الله إلى أن كل شيء تم على خير ما يرام بالنسبة لهما».

«وانا ايضاً».

«لماذا؟ انت بالكاد تعرفينهما».

لم تجبه بريانا فوراً. كانت تشعر بأنه يحاول أن يجربها.

«انت محق» اجابته اخيراً «لكن. . . احياناً تشعر بأننا نحب اناساً ونتمنى لهم كل السعادة. . .».

«أن تمنحيهم قلبك بكل سخاء. ولو جازفت بتعرضك لبعض الجروح. . .» أكمل رايدر بدلاً منها.

«هذا صحيح. وخاصة إذا كنت تعزل نفسك عن الناس فقط لأنك تخاف العذاب، وهكذا تكون حياتك قاحلة كالصحراء. . . وتكون الوحيد المسبب لتعاستك. . .».

لاحظت بريانا اصابع رايدر تتكمش على المقود. فدق قلبها بسرعة، وانتظرت. لقد شرحت لها آن كيف عزل الصحفي نفسه في وحدته. وبالتأكيد هو يشعر بأنه هو المقصود من خلال كلامها. لقد نطقت بهذه الكلمات لأنها تؤمن بها. أنه رأيها في الحياة والناس، ويجب عليه أن يقبل أو يرفض. . .

«بريانا. . . انت لم تمر من قبل بظروف صعبة، اليس كذلك؟».

«لا. . .».

«بهذه الحالة، انت لا تعلمين عما تتكلمين».

«وانت؟» سألته بتحد.

كانت تفضل أن لا تظهر له بأنها لا تجهل لأية درجة كانت سنوات زواجه شاقة.

«انا؟» سألها بضحكة مريرة «للأسف، انا اعلم جيداً عن ماذا اتكلم».

www.elromancia.com

«الا ترغب بمناقشة ذلك؟».

لم يكن سؤالها بدافع الفضول، كانت تشعر بكل بساطة أنه بحاجة ليحرر نفسه قليلاً. . .

«لا».

فالتفتت بريانا نحوه، ووجدت ملامحه منقبضة على نور الشارع الخفيف.

«احياناً يكون من الأفضل أن يفتح الإنسان قلبه قليلاً» الحت بلطف.

«ليس هذا سهلاً عندما يكون الإنسان ميتاً خلال سنوات طويلة».

«هل كان ذلك خطيراً لهذه الدرجة؟».

«انت تحبين لعب دور الطبيب النفساني، اليس كذلك؟» سألها بشيء من السخرية دون أن يجيب على سؤالها.

«لا، بل انا احاول أن افهم من يشبهونني».

«وهل حصل لك مثل هذا؟».

«ماذا تقصد؟» سألته باضطراب.

«هل فكرت مثلاً، انني قد اجعلك تتعذبين؟» احست الفتاة بأن قلبها توقف فجأة. وحاولت أن لا تظهر ارتباكها.

«لن اسمح لك بذلك».

«لن يكون أمامك الخيار».

«يا لك من مدع!» اجابته ضاحكة.

«انا لم اخلق بالأمس، تصوري وانا لم انس الطريقة التي تجاوب فيها جسدك مع لمساتي. . .» انتفضت الفتاة

وكأنها تلقت ضربة قوية.

«لن اتركك تهزأ بي!» اجابته بحدة.

«كنت جميلة جداً».

«ليس هذا السبب الوحيد!».

«انت تقولين هذا».

«بهذه الحالة، لماذا تفكر بأن الأمر كان مختلفاً معي؟».

«حسناً. . .» ونظر إليها نظرات استفزاز، وساد الصمت بينهما قليلاً، ثم همس رايدر بصوته العذب «اتريدين أن نتحقق من صدق نظرياتنا؟».

«عفواً؟» سألته وقد جحظت عينيها فجأة.

«نعم، يجب أن نتأكد من النظرية إذا كنا فقط نشعر بالرغبة تجاه بعضنا. . .».

شعرت بريانا بتوتر شديد. واحست بأن الموقف قد تخطى إمكانياتها لدرجة لا تستطيع تمالك نفسها.

«انا. . . انا. . .».

«إن شقتي ليست بعيدة من هنا. . .».

فبلعت ريقها بصعوبة، يا إلهي، بماذا تجيبه على هذا السؤال الصريح؟.

«اعدك بأن لا اكتب شيئاً عن هذا الموضوع» أضاف رايدر بصوت هامس «على شرط طبعاً، أن تفعلي انت نفس الشيء. . .».

هذا طبيعي، ايعتقد أن مشاهد الحب التي تضعها في رواياتها هي نتيجة خبرتها! منذ بداية علاقتهما وهو يخطىء بحقها. . . بدون شك يتخيل أنها كانت على علاقات

www.elromancia.com

عديدة...

فتحت فمها لكي تدافع عن نفسها، لكنها لاحظت أنه زاد من سرعة السيارة، يبدو انه اعتبر صمتها موافقةً!

«رايدر انا...» وتلعثمت بسرعة.

«ماذا؟» قاطعها بسخرية «ألم تقولي أنه يجب الاقتراب من مشابهينا دون خوف من الجروح؟».

«بلى، ولكني...».

«الست مقتنعة؟».

«بلى ولكن...».

«انا على وشك الوقوع بخطيء جسيم» فكرت بخوف.

حتى الآن، كانت دائماً حذرة ومتعقلة. ماذا ستجني؟ لا شيء... منذ أن التقت بهذا الرجل، وهي لا تتوقف عن التكرار بأنها لا تشعر نحوه بأي شعور عميق سوى الرغبة الجسدية. لم يسبق لأي رجل أن اربكها هكذا، ولكنها معه هو، تتمنى أن تكتشف أسرار الحب. وبعد ذلك، ستتمكن من فهم سيطرته عليها، على الأقل هي تأمل بذلك...

«كفاك أسئلة سخيفة!» فكرت بتمرد على نفسها «هذا ليس وقت التفكير وقياس الحقائق، اللحظة هي لحظة العيش...».

كانت شقة رايدر تقع في بناية فخمة، في قلب مدينة سان انطونيو. إنها شقة دوبلوكس مرتبة بذوق كبير.

تأملت بريانا الصالون الكبير، واللوحات المعلقة على الجدران، وهي تحاول أن لا تظهر توترها. كانت تشعر في

شورتها الأحمر وقميصها الأبيض انها رقيقة جداً.

«شقتك جميلة جداً» قالت وهي تجلس على الكنبة.

«نعم، لا بأس بها... ماذا ترغبين أن تشربي؟».

«ويسكي، لو سمحت».

«مع الماء أو مع الصودا؟».

«اريدها سالك».

كانت بحاجة ماسة لشيء يمنحها الشجاعة، فهز رايدر حاجبيه.

«لم اكن اعلم انك تحبين المشروبات القوية...».

«هذا يحصل معي احياناً...».

تأخر رايدر قليلاً أمام البار، ثم عاد وجلس بقربها وناولها كأسها كيف استطاعت أن تنجح في شرب كأسها دون أن تقلب الكحول على صدرها؟ يبدو أن السماء تساعدها في تمالك اضطرابها.

كان رايدر يراقبها بصمت، وعيونه تتأمل ساقيها وصدرها الممتلىء وشعرها الطويل، وشفتيها المرتجفتين...

«لقد قرأت كتابك» قال لها فجأة.

«نعم، اعلم ذلك».

فابتسم رايدر برقة.

«اين عقلي؟ لقد تكلمت عنه في مقالي، بالتأكيد... على كل حال، اعجبني كثيراً».

«هل ادهشك ذلك؟».

«بصراحة نعم».

«لماذا؟».

www.elromansia.com

«لأنني لم اقرأ من قبل رواية عاطفية ابداً».

«بسبب مبادئك؟».

«لا... ببساطة، لم تسمح لي الظروف بقراءة كتاب من هذا النوع».

«ما الذي اعجبك فيه بشكل مميز؟».

«اسلوبك، وطريقة صياغتك للكلمات».

«كونك صحفي، انا اعتبر كلامك هذا إطراءً».

«نعم».

«في هذه الحالة، قد تصبح أحد قرائي؟».

«هذا ممكن».

وضعت بريانا كأسها على الطاولة الصغيرة..

«هناك شيء فاجأني بشكل خاص...».

«ما هو؟».

«البطل والبطلة كانا مخلصين جداً لبعضهما...» قال وهو يداعب شعرها بلطف.

«كل شخصياتي هكذا، انا اصفهم دائماً بالصدق والوفاء، لا تنسى ذلك».

«الله وحده يعلم لماذا انا اتخيل أنه في هذا النوع من الأدب، أن الأبطال يعشقون المغامرات...».

«مرة جديدة، انت مخطىء... عندما نحب احداً بعمق، لا يعود هناك أهمية لأي شيء آخر في الوجود...».

دس رايدر يده تحت شعرها وداعب عنقها ببطء.

«اهناك أحد تخلصين له في بنسلفانيا؟».

«لقد سبق وقلت لك إن رفيقي الوحيد هو هرتي...» اجابته وهي ترتعش بحدة.

«انا لست مقتنعاً، يبدو لي أن هذا صعب تصديقه».

«و... وانت؟» سألته متلعثمة «هل انت مرتبط حالياً بأحد؟».

«لا».

«هذا يبدو لي صعب تصديقه» اجابته ممازحة رغماً عن توترها الشديد.

فهز رايدر كتفيه.

«لم اهتم كفاية بأحد... على الأقل هذا صحيح حتى فترة وجيزة...».

اخذ قلب الفتاة يدق بسرعة. اللحظة التي كانت تتمناها وتخاف منها حانت... انحنى رايدر نحوها، ونظر مباشرة إلى عينيها... يا إلهي، تكاد تغرق في هذه العيون الأكثر عمقاً من كل بحيرات العالم...

ولكن لا، أنه هنا لإنقاذها، شفتاه الرقيقتان تمنحانها الحياة، تحملانها إلى عالم من السحر حيث لا تتوقف الشمس عن الإشراق... وأصابعه الرقيقة الدافئة تتحرك بحب وحنان على جسدها المرتجف... لشدة تأثرها وانفعالها، اسندت نفسها إلى صدره، واستسلمت لقبلاته الحارة... أن رغبتها القوية كانت ضعيفة جداً أمام رغبة رايدر، أنه خبير بالحب، كان يقودها بلطف وببطء إلى قمة اللذة، ولكن الرغبة كانت قوية على الفتاة، فتنهدت من أعماق كيانها، فضمها إليه أكثر، ورفعت يده المرتجفة

نحو وجهها الجميل يلامسه بلطف.

كان جسدها الناعم يبدو كزهرة نضرة عطرة... وبريانا تائهة كفراشة تبحث عن الضوء. كانت تحلم بالبقاء هكذا حتى آخر لحظة من عمرها، بين هاتين الذراعين القويتين التين تشعلان نيران عواطفها.

رفع رايدر رأسه، وحدق بعيونها.

«اريدك، بريانا سان كلير...» همس بصوت لاهث.

فخبأت وجهها في صدره، واسندت جسدها المرتجف على جسده، كان فمه الوسيلة الوحيدة لتهدئة الانفعالات القوية التي تلتهمها...

فجأة، دفعها رايدر، ونهض.

«تعالي... غرفتي في الأعلى...».

في اللحظة الأولى، ظلت بريانا مسمرة مكانها، واخيراً، أحمر خداها ومدت له يدها بخجل. فساعدها رايدر على النهوض وقبل كتفها العاري بحنان.

«انت رائعة الجمال...».

جف حلق الفتاة من شدة الانفعال، وتبعته على السلم بصمت، لو اعترفت له الآن بأنها المرة الأولى لها، لا لن يصدقها «تشجعي!» قالت لنفسها «الحياة ليست سوى سلسلة اكتشافات، أول كلمات، أول خطوات، أول قبلات... وتعلم الحب هو فقط مرحلة في هذه الطريق الطويل، هذا الرجل هو الذي كنت انتظره...».

عندما اصبحا في غرفة رايدر، حملها ومددها بلطف على السرير الواسع في وسط الغرفة، ارتبكت بريانا كثيراً،

يا إلهي! كم تتمنى لو كانت خبيرة كبطلات رواياتها!.

«ما بك، بريانا؟» سألها الصحفي وقد عقد حاجبيه قليلاً «أهناك شيء لا يسير على ما يرام؟».

«لا...» اجابته بصوت مرتجف.

يبدو وأن جوابها أرضاه، لأنه ضمها إليه وهو يبتسم بحنان. وبدأت الفتاة تستسلم للمساته، ولكن عندما شعرت بأن رايدر يحاول أن يفتح سحاب شورتها، انكمشت على نفسها، ودون أن تشعر دفعته عنها، وحاولت إقفال السحاب. كانت أصابعها ترتجف وادركت أن تصرفها سخيف كأنها وزة بيضاء صغيرة، لكنها لا تستطيع أن تمنع نفسها عن هذا التصرّف...

تأملها رايدر وقد تقطعت أنفاسها بنظرات يـ..ـج فيها الشعور بالدهشة والخيبة.

«أيمكن أن تتكرمي علي وتقولي لي أية نحلة لسعتك؟».

«انا... انا...».

الأكثر من ذلك، أنها لم تعد تتصرف فقط بغباء وسخافة، بل اصبحت عاجزة عن النطق بأقل كلمة!.

اتحاولين أن تردي لي الصاع صاعين؟» سألها رايدر بحدة، فتأملته بدون أن تفهم.

«بسبب تلك السهرة في دالاس...» شرح لها بهدوء «عندما تركتك وهربت...».

فتحت بريانا فمها لتقول له بأنه مخطىء، لكنه لم يسمح لها بذلك.

«إذا كان الأمر كذلك، فانا انصحك بتغيير خطتك! هذا

www.elromancia.com

المساء، كلانا يعلم ما نفعله، لقد اوضحت لك انني ارغب بقضاء الليلة معك، وانت تبعتني إلى غرفتي بكامل وعيك وإرادتك، إذاً، فلنتوقف عن لعب دور الهر والفأرة».

زادت كلماته هذه من إحراج الفتاة، فبدأت تتراجع رغماً عنها بإتجاه الباب.

«اتخافين مني؟» سألها وكأنه لا يصدق ما يحصل.

فاخفضت رأسها، أوه لماذا هي غبية هكذا! إنها ترتجف كورقة في مهب الرياح.

«بلى!» أضاف رايدر بدهشة كبيرة «انت ترتجفين من الخوف» وتقلصت أصابعه على كتفيها العاريين.

«اهذه هي المرة الأولى لك؟».

وهز كتفيه بانزعاج شديد كأنه ارتكب غلطة كبيرة.

«لا مستحيل... لا يمكنك أن تخترعي مشاهد الحب التي تكتبينها في رواياتك بدون أية تجربة سابقة...».

ثم سكت وحدق بعيونها مباشرة، وكأنه يبحث عن الحقيقة في اعماق روحها.

«كان لديك عشاق، اليس كذلك؟» سألها بصوت هامس، ادارت بريانا رأسها. لكنه امسك ذقنها واجبرها على النظر إليه.

«اليس كذلك؟» كرر سؤاله وقد فرغ صبره.

انهمرت دموع الفتاة بغزارة، يا إلهي! لماذا يحاول تعذيبي؟.

«لا» اعترفت له اخيراً وهي تجهش بالبكاء.

«يا إلهي...».

وظل لحظات مذهولاً، وكأنه اصيب بضربة الصاعقة. ثم تركها فجأة، وكأن جلد الفتاة العاري يحرقه...

«لماذا لم تقولي لي ذلك قبلاً؟» سألها بصوت مرتفع.

«ماذا كان بإمكاني أن افعل برأيك؟ أأحمل لوحة أعلقها حول عنقي وقد كتبت عليها عذراء؟».

ابتسم رايدر، وهز رأسه.

«هذا أشرف بكثير!».

«بالنسبة لمن؟».

«بالنسبة للرجال الذين يثقون بأنفسهم كثيراً...».

«فليذهبوا إلى الجحيم كلهم!» اجابته بغضب شديد.

دون أن يجيبها، اتجه رايدر إلى الخزانة وناولها قميصاً من قمصانه.

«خذي، غطي نفسك جيداً، ارجوك...».

احمر وجه الفتاة، وكانت قد نسيت تماماً أن صدرها عارٍ، وأنها لا ترتدي سوى شورتها القصير.

«شكراً» تمتمت وهي تلف القميص على صدرها بسرعة.

«تعالي نخرج من هذه الغرفة...».

رفعت بريانا رأسها، لم تكن تنوي أن تترك الكلمة الأخيرة للصحفي!.

«ماذا حصل؟» سألته بسخرية «الآن وبعد أن عرفت سري الفظيع لم تعد ترغب بي؟».

نظر رايدر إليها نظرات قاسية لدرجة أنها ارتعشت من الخوف، لماذا تتحداه هكذا؟ وكيف ستتصرف إذا غير

www.elromancia.com

رأيه؟.

«بلى . . . فلنقل فقط أن الوقت لم يحن بعد».

«حقاً؟» سألته بسخرية كأنها أمام شيطان ماكر «إذا كانت براءتي تزعجك، بإمكاني أن اجد بسهولة كبيرة، رجلاً يقبل في تدريبي وجعلي مناسبة لك!».

«اهذا ما تتمنينه؟».

«بصراحة لا . . .» اجابته واخفضت رأسها.

«إذاً، لا تفعلي، على الأقل ليس بسببي انا».

الغريب أن هذه الجملة جرحت مشاعرها كثيراً، يبدو أنها تحمل معنى واحداً «انا لا انوي أن العب أي دور في حياتك . . .».

عندما عادا إلى الصالون، ارتبكت بريانا اكثر عندما رأت ملابسها مرمية على الأرض، فتناولتها بسرعة، وازعجتها نظرات رايدر المبتسم.

«لا، لن اخجل!» فكرت بسرعة «هذا يكفي لهذا اليوم!».

«اين يمكنني أن ابدل ملابسي؟» سألته بجفاف.

«هناك . . .» اجابها وهو يشير إلى باب غرفة الحمام.

ارتدت بريانا ملابسها وترددت قليلاً قبل أن تنضم لرايدر. كانت تشعر بالغباء . . . مع أنها كانت تدرك أن رايدر لم يكن يسخر منها، كان متفاجئاً فقط، ولم يضحك ابداً . . .

«يا إلهي، من حسن الحظ أنه لم ينفجر ضاحكاً!». ثم رتبت شعرها وغادرت الحمام.

«انا جاهزة» قالت له ببرودة.

«عظيم، هيا بنا».

طوال الطريق، ظلا صامتين، أوصلها رايدر أمام منزل آل دانيالز حيث تركت سيارتها. وبعد أن سلم عليها بيده، أدار محرك سيارته وابتعد بسرعة.

عادت بريانا إلى منزلها وهي تشعر بفراغ كبير في رأسها، يجب عليها أن تزيل ذكرى هذه الليلة من خيالها، وتنسى رايدر إلى الأبد . . . ولكن للأسف، كانت تعلم جيداً أن هذا مستحيل . . .

في الأسبوع التالي، كرست بريانا كل وقتها للعمل رغم قلقها الدائم. للأسف، لم تكن ترغب بمتابعة أبحاثها حول كتابها الجديد. وكانت الصعوبة في التركيز يضيف هماً إلى همومها . . .

حتى زيارتها لآل دانيالز وللصغيرة ريبكا لم تفدها كثيراً على الصعيد النفسي . . . بل على العكس، طوال الوقت الذي قضته في المستشفى كانت تخشى من ظهور الرجل المسؤول عن عذابها، وعندما غادرت المستشفى شعرت بالخيبة لأنها لم تلتق به . . .

«يا إلهي، لقد اصبحت مجنونة» رددت بغضب شديد، أنها لا تتمكن من طرد هذا الرجل من أفكارها، احياناً كانت تشعر بأنها تكرهه، واحياناً كثيرة تشعر بأنها بحاجة لوجوده معها. الأسوأ من ذلك، أنها لم تكن متأكدة أنها ستراه يوماً، خاصة بعد أن افترقا بجفاف ذلك المساء، ولم يظهر رايدر لها أنه ينوي الاتصال بها أو رؤيتها . . .

www.elromancia.com

أوه، لماذا دخل رايدر حياتها؟ لقد قلب وجودها كله.

لقد تغيرت كل نظراتها للحياة الآن... تشعر بأن حياتها القادمة ستكون كلها من وحي معرفتها به. كل هذا بسبب هذا الرجل الغريب الذي يسيطر عليها سيطرة تامة!

صباح يوم الإثنين، استيقظت بريانا من نومها على رنين جرس الباب، فنهضت رغماً عنها، من يجرؤ على ازعاجها بمثل هذا الوقت المبكر؟ ارتدت روبها فوق البيجاما ونزلت بسرعة. وهي تحاول أن ترتب شعرها قدر الإمكان.

«من الطارق؟» سألت قبل أن تفتح

«من ترغبين أن يكون؟».

بدأ قلب الفتاة يدق بسرعة، رايدر!...

«ماذا رايدر؟» سألته متلعثمة.

أوه، أنها سخيفة دائماً! لماذا طرحت هذا السؤال؟.

«اريد رؤيتك...».

«لماذا؟» سألته بقلق وهي تبلع ريقها.

«اريد أن اعطيك شيئاً» اجابها بلهجة السؤال وكأنه يريد أن يجربها.

«ماذا؟».

«دعيني ادخل وستعرفين الجواب».

«انا لست مرتدية ملابسي!».

اجابته وادركت أنه يبتسم الآن.

«هذا افضل...».

«ارجوك، رايدر!» صرخت غاضبة.

«دعيني ادخل» كرر بإلحاح.

«لم اكن انتظرك...».

«إذاً؟».

«اختف فوراً!».

«حتى ولو كان ما احمله لك على علاقة بهذا المنزل؟».

«إذاً ضعه أمام الباب وارحل».

«لا سبيل لذلك».

«انت مستحيل حقاً! لماذا لا تهتم بعقاراتك الأخرى؟ عندما كنا في دالاس، اخبرتني انك تهتم بالعقارات اليس كذلك؟».

«اعمالي الأخرى ليست بحاجة لي الآن».

«هذا إذا كانت موجودة حقاً!».

«أسالي الملتزمين الذين يهتمون بذلك».

«أهم على وشك إنشاء مستشفى للمجانين من اجل استعمالك الشخصي؟».

«لا، بكل بساطة أنهم يهتمون بإنشاء مركز تجاري في إحدى الضواحي، اسمعي لقد تعبت من الكلام من خلف الباب...».

«إذاً إلى اللقاء!».

«بريانا...».

ترددت قليلاً ثم اجابته بدلال.

«حسناً، موافقة... بإمكانك العودة بعد عشرة دقائق».

«اعلمي انني اعرف ماذا تشبهين وانت... عارية هكذا...» اجابها ضاحكاً.

وكما كان يتوقع، لسعت كلماته هذه الفتاة لسعة قوية،

www.elromancia.com

ففتحت الباب فجأة بعنف.

«إذا كنت تتوقع أن اكون مجنونة، فانت ستصاب بخيبة أمل!» قالت له وعيونها تقدح شرراً.

بذهول، تأمل رايدر بيجامتها الزهر، وروبها الأحمر... وجحظت عيونه أكثر عندما رأى مشايتها الخفيفة، أنها تبدو كطفلة صغيرة...

«احب أن اكون مرتاح وانا أنام!» قالت له بسرعة، فلمعت عيون الصحفي ببريق ماكر.

«ارتداء كل هذه الملابس قد لا يكون مثالياً...» تمتم بلهجة استفزازية.

فنظرت إليه بحدة، بالطبع، هو فاتن دائماً، وكان يرتدي هذا الصباح بنطلون أسود وقميص باج! ولكن ماذا يحمل بيده؟ باقة من المرغريت...

«جئت لأقدم لك هذه...» قال رايدر بصوت هادىء. هذا من أجل ديكور الصالون... كما اردت أن اقترح عليك أن نزور معاً ال مر كادو».

«ال مر كادو؟» رددت بدهشة.

«نعم، إنه السوق المكسيكي، تجدين فهي كل ما يمكن أن تتخيليه».

ظلت بريانا تتأمله بذهول، إنه هنا، أمامها، يدعوها لنزهة! إذاً هو لم يقرر عدم رؤيتها من جديد! لماذا؟.

«متى تريد أن نذهب؟» سألته متلعثمة.

الآن؟».

«يجب أن ابدل ملابسي أولاً...».

«بصراحة، هذا يبدو لي ضرورياً» اجابها بضحكة صغيرة.

كان بإمكانها أن ترفض. هذا الرجل واثق جداً من نفسه، وواثق جداً من سيطرته عليها، يجب عليها أن ترفض، ولكنها للأسف، لا تمتلك القوة على قول كلمة لا.

«خذي راحتك، انا لست مستعجلاً» قال وهو يدخل إلى المطبخ، وباقة المرغييت لا تزال بيده.

ظلت بريانا واقفة تتأمله يبتعد نحو المطبخ، لماذا يشرق العالم كله عندما يظهر رايدر؟ هذا غريب حقاً... إنه يشبه ظواهر الحب ودلائله... ولكن لا، أن تحب رجلاً مثله هذا ضرب من السخرية والجنون، بينما بريانا لا تزال تملك عقلاً في رأسها...

طردت هذه الأفكار بسرعة من رأسها وأسرعت إلى الطابق العلوي لكي تستعد للخروج معه.

كان السوق المكسيكي مثيراً بالفعل، بضجيجه والوانه المتعددة. يعرضون فيه كل ما يمكن أن يفكر المرء بشرائه، من الأشياء الخفيفة حتى الأشياء الغريبة جداً.

كانت بريانا تتأمل منحوتة خشبية عندما لفت رايدر انتباهها إلى رسومات تمثل أحياء سان انطونيو القديمة، فصرخت الفتاة بفرح كبير، هذه الرسومات رائعة حقاً.

«هذه الرسومات بسعر منخفض» قال لها البائع بفخر «كل لوحتين بتسعة دولارات فقط».

«انت من رسمها؟» سألته بريانا بإعجاب.

www.elromancia.com روايات

«لا، لقد رسمها صديق لي».

«سنعطيك ثلاثة دولارات فقط» تدخل رايدر وهو يمسك يد بريانا كي منعها من فتح حقيبة يدها وإخراج المال.

فنظرت إليه بدهشة، لكنها لم تعترض.

أما البائع، فرمى نفسه على كرسيه وبدأ نقاشاً طويلاً باللغة الإسبانية مع رايدر، ولم تتمكن الفتاة من فهم أية كلمة من نقاشهما هذا، واخيراً اتفقا على خمسة دولارات، فأسرعت بريانا بدفع المبلغ وحملت اللوحتين وهي سعيدة بهما.

عندما ابتعدا، ربت رايدر على كتفها مبتسماً.

«لقد احسنا التصرف، اليس كذلك؟ كما وان صديقنا البائع كسب ربحاً جيداً».

«اتعتقد ذلك؟».

«طبعاً، وإلا لما كان استسلم بسهولة!».

«ألهذا السبب كان يبتسم بذهول؟».

«هذا محتمل... وقد يكون سعيداً لانه رأى فتاة جميلة أمامه...» ثم توقف وأمسك يدها بحنان، ونظر مباشرة إلى عيونها.

«انت جميلة جداً، بريانا...».

احست الفتاة بانفعال غريب، ورفعت نحوه نظراتها الخضراء المشرقة. كان بإمكانها أن تدير رأسها، وتتابع سيرها، لكنه لم تجرؤ على ذلك وكأنهما كانا وحيدين في هذا العالم، ضمها رايدر إليه وقبلها بحرارة. ارتعشت الفتاة وبادلته القبلة بنفس الحرارة.

عندما افترقت شفاههما، تأمل رايدر الفتاة بحدة.

«انت تملكين تأثيراً قوياً علي...» همس بصوت متقطع «إنه تأثير رائع... بدون شك، لهذا السبب لا استطيع أن اطردك من أفكاري».

اخذ قلب الفتاة يدق بسرعة، وكانت يداها لا تزالان حول عنقه، وبدون وعي منها اخذت تداعب عنقه بحنان.

«إذاً انت تحاول ذلك؟».

ارتسمت ابتسامة صغيرة مثيرة على شفتي الصحفي.

«اوه نعم، احاول جاهداً! وللأسف، فشلت كل جهودي...».

احست بريانا فجأة بالدوار، ايمكن أن يكون مهتماً بها على عكس ما كانت تظن؟.

«و... انت تنوي متابعة جهودك؟» سألته بضعف. وانتظرت جوابه وهي تحبس أنفاسها. لسبب غريب، كانت تشعر بين هذه اللحظة ستكون الأهم في حياتها.

«لست متأكداً من ذلك...» اجابها وقد عقد حاجبيه، فلمعت عيون الفتاة، واجابته مبتسمة.

«هذا أفضل».

«قد يكون هذا أسوأ بالنسبة لي...».

«لماذا تقول هذا؟» سألته وقد اعتراها أمل كبير.

دون أن يجيبها، نظر إليها بعمق لدرجة أنها شعرت بأنها ترتنح. كان يتأمل وجهها كأنه يبحث عن روحها...

«قد اقع في حبك، وهذا ما اخشاه...» تمتم بصوت ضعيف اخترق قلب الفتاة كالبرق. وفجأة اصبح كل شيء

www.elromancia.com

مشرقاً. . .

كثيراً ما كانت تتساءل عن المشاعر التي يكنها لها رايدر، كانت تعتقد ايضاً أنها تشعر نحوه فقط بالرغبة الجسدية، أما الآن، فهي تعلم أنها تحب هذا الرجل، تحبه بجنون وبيأس. . .

ولكن لا مجال للإعتراف له الآن بحقيقة مشاعرها. لقد تكلم الصحفي عن احتمال. . .

ادرك رايدر مدى الارتباك الذي احدثه كلامه عليها، فقبل جبينها بحنان. . .

«لا تقلقي نفسك» قال لها بهدوء «هذه مشكلتي انا، وانا من سيجد لها حلاً. . .».

كيف يمكن له أن يجد حلاً لهذا؟ فكرت بقلق. بدفعه للمشاعر والانفعالات التي تجعل قلبه يدق؟ بالتظاهر بعدم المبالاة وبالبرودة؟ لم تعترض بريانا عندما اقترح رايدر أن يسلكا طريق العودة. لم تكن الفتاة ترى أو تسمع أحداً غيره وكأن الجميع اختفوا فجأة من حولها. لم يعد هناك سوى يد رايدر التي تمسك يدها، وجسديهما الذين يتلامسا أثناء سيرهما، بنفس الخطوات نحو المجهول. . .

تلك الليلة، لم تتمكن بريانا من النوم. كانت لا تزال تحت تأثير ما اكتشفته ماذا ينتظرها؟ أنها تحب رايدر بكل روحها، ولكن ومع ذلك، لا يجب أن يشك بشيء، إنه حذر جداً بالنسبة للحب، هذا ما قالته آن بوضوح، لقد ترك كل النساء اللواتي تعلقن به كثيراً، فقط لأنه لا يملك ما يقدمه لهن. وبريانا لن تجازف كي لا تجد نفسها

متروكة، سيكون هذا صعب جداً عليها.

لكن موقفه كان يبدو مختلفاً. بعد كل شيء، أنه رايدر الذي أشار إلى إمكانة وقوعه في حب بريانا. بالتأكيد هو قادر على التغلب على عواطفه. إلا أن هذا يثبت ايضاً أنه فقد توازنه وهدوءه الفكري. . . كان رقيقاً و. . .

بدأت خطة تداعب أفكار بريانا. إن بطلات رواياتها يخرجن دائماً منتصرات من الحرب الحنونة التي يواجهنها مع الرجال الذين يحتلون أفكارهن. وينجحن دائماً في تخطي كل الحواجز التي تقف في طريق سعادتهن. إذاً لماذا لا تنجح هي ايضاً؟.

في صباح اليوم التالي، قررت بريانا أن تبدأ بتنفيذ خطتها، إنها عبارة عن دعوة للعشاء تضم آن وبول وربيكا الصغيرة و. . . رايدر، ستحضر الكاري باللحم الصنف الذي هو من اختصاصها، إنه صنف سيعجب الصحفي حتماً.

اتصلت بريانا أولاً بآل دانيالز لتدعوهم للعشاء، قبلت آن الدعوة فوراً، لم تكن قد خرجت منذ عودتها من المستشفى، وكانت سعيدة بفكرة قضاء السهرة مع أصدقائها، وأكدت لبريانا أن ربيكا طفلة هادئة وستنام طوال السهرة كالملائكة.

اقفلت بريانا الخط، وتنهدت بعمق قبل أن تطلب الرقم الآخر.

«صحيفة الشمس، نعم. . .» اجابها صوت إمرأة.

«ايمكنني أن اكلم السيد رايدر كنترال، لو سمحت؟»

قالت لها بريانا ببعض التردد.

«من يريده؟».

«بريانا سان كلير...».

«لحظة من فضلك».

بعد لحظات سمعت رنين الهاتف الداخلي.

«بريانا؟» سألها رايدر بلهجة تدل على مفاجئته بمكالمتها.

«ماذا هنالك؟».

«لا شيء خطير، اطمئن... اريد فقط أن ادعوك للعشاء مساء غد. سيكون بول وآن وطفلتهما موجودين ايضاً» أضافت بسرعة.

«غداً؟» سألها بتردد.

«نعم، في الساعة الثامنة».

«هل انت من سيعد الطعام؟».

«لا تخف!» اجابته ضاحكة «انا اجيد فن الطهي عندما انوي ذلك. اتمنى أن لا يكون لديك شيء ضد الكاري باللحم؟».

«لا، على العكس تماماً».

«هذا افضل! إذاً ستأتي؟».

«نعم... إلى اللقاء غداً و... شكراً على هذه الدعوة اللطيفة».

«إلى اللقاء...».

بعد أن انتهى الاتصال، ظلت بريانا تمسك السماعة وتتأملها بسعادة كبيرة، لقد قبل رايدر دعوتها!.

إنها بحاجة لثوب جديد... وذهبت إلى السوق وتجولت طويلاً أمام واجهات المحلات، واخيراً وقع اختيارها على ثوب حريري أخضر فاتح يتناسب مع لون عينيها، ومرت على السوبر ماركت واشترت كل ما ستحتاج إليه لعشاء الغد...

وفي صباح اليوم التالي، رتبت المنزل، وهي تفكر بهذه السهرة وما سينتج عنها.

تأملت نفسها اخيراً أمام المرآة، وتنهدت برضى، كانت حقاً رائعة ومثيرة في قامتها الرشيقة وصدرها الممتلىء وبشرتها التي لوحتها الشمس قليلاً في هذه البلاد، ووجهها الرقيق الملامح... عندما نزلت من جديد إلى الطابق السفلي، وصلت رائحة الكاري الشهي إلى انفها، وبمرحها المعتاد، فكرت أنها تقوم بمجازفة كبيرة، قد ينسجم رايدر كثيراً بهذا الطبق الشهي الذي تعده لدرجة أن لا ينظر إليها ولو نظرة واحدة...

اجتاحها حماس طفولي، وكادت ترقص من فرحها، واضطرت للتنفس بعمق كي تهدأ حماسها «قليلاً من الهدوء» قالت لنفسها بحزم. هذا ليس الوقت المناسب للتصرف كتلميذة صغيرة «يجب أن تكوني قوية، وفاتنة كي لا تثيري حذر الصحفي».

ألم يعترف أنه عاجز عن طرد بريانا من أفكاره؟ إذاً، يجب عليها أن تجبره للقبول بحبه لها...

ولكن للأسف، لم تسر الأمر كما كانت قد خططت لها. لقد وصل رايدر متأخراً جداً...

www.elromancia.com

كانت على وشك تقديم العشاء بيأس وخيبة عندما رن جرس الباب اخيراً.

«إنه رايدر بالتأكيد» قال بول الذي كان يجلس قرب آن. «عندما يستطيع لا يتخلف عن موعده».

اتجهت بريانا نحو الباب وكانت تجتاحها انفعالات كثيرة متناقضة. كانت غاضبة جداً منه لأنه تأخر. وتساءلت هل تأخر عمداً لكي يظهر لها ان وجوده لا يدور ابداً حولها؟ إلا أنها كانت سعيدة بمجيئه...

كان رايدر بالفعل، أنيقاً جداً ببدلته السوداء وقميصه الأبيض وكان يضع كرافات مقلمة.

«هل تأخرت كثيراً؟» سألها بابتسامته المثيرة كالعادة.

ظلت بريانا صامتة، وارتعشت قليلاً رغماً عنها، إن جاذبية كبيرة تنبعث من هذا الرجل! واضطرت لبذل جهد كبير كي لا ترمي نفسها بين ذراعيه...

«بريانا؟» ألح بصوت ناعم وكأنه يريد إعادتها إلى الواقع.

فانتفضت وابتسمت بخجل.

«لا... لا... بالتأكيد».

وابتعدت لكي تسمح له بالدخول، اقفل رايدر الباب وراءه. وكانت بريانا تشعر بأنه يتأملها، كانت تحس بنظراته عليها وهذا ما جعلها ترتبك اكثر.

عندما دخلا إلى الصالون، نهض بول وقال بمرح.

«ها انت اخيراً! كنا قد بدأنا نيأس من مجيئك...».

«انا حقاً آسف... ولكن اين ربيكا الصغيرة؟» سأله

بدهشة.

«إنها في الغرفة فوق، على وشك أن تنام» اجابته آن بسرعة «وانا امنعك من محاولة إيقاظها! انا بحاجة لبعض الراحة...».

«مساء امس، لم تغمض هذه الشيطانة الصغيرة عينيها» شرح له بول «يبدو أنها لا تميز بين النهار والليل».

«أنها ليست الوحيدة في هذه الحالة» اجابه الصحفي بغموض. تأمله بول قليلاً بفضول.

«لماذا تقول هذا؟».

«تصور انني كنت على وشك أن انام، وهذا سبب تأخري».

«آه... هل لنشاطاتك الليلة علاقة بالعمل الذي يشغلك منذ شهر؟» سألته بريانا.

انقبضت ملامح رايدر بسرعة.

«انت على علم بذلك؟» سألها بجفاف.

«لا، إنه حدس فقط...».

«رايدر...» تدخلت آن بقلق «لا يجب أن تتورط بهذه المسألة، لقد كادوا يقتلونك في المرة الأخيرة!».

كاد قلب بريانا يتوقف فجأة. وشعرت بأن دمها تجمد في عروقها من شدة الخوف. وتأملت الرجل الذي تحبه بصمت.

«انت تبالغين كثيراً آن...».

«حقاً؟» سألته آن بحدة «اتعتقد أنهم بملاحقتهم لك وبمحاولتهم قلب سيارتك، هذه ليست محاولة قتل؟».

www.elromancia.com

«قد لا يكون هذا الحادث مرتبطاً بتحقيقي».

«ليس هذا ما أكدته في المستشفى».

«لم اكن في وعي التام».

«مهما كان الأمر، انت تخاطر كثيراً» قاطعه بول بحدة.

هز رايدر كتفيه والتفت نحو بريانا ونظر إليها بإعجاب.

«لقد قلت لي أن العشاء جاهزاً، اليس كذلك؟» وابتسم مشيراً بوضوح إلى أن موضوع النقاش قد انتهى.

«نعم» اجابته الفتاة بصعوبة. وكان الخوف يعقد حنجرتها يا الهي، رايدر في خطر...

«إذاً، لنبدأ بالعشاء، انا جائع جداً! وانتم؟».

تبادل بول وزوجته نظرات حزينة. وفهمت بريانا بماذا يفكران. من العبث محاولة نصح الصحفي باتخاذ الحذر. يبدو أنه مصمم على إنهاء المهمة التي يركز عليها.

ولكن ما هي طبيعة هذه المهمة؟ لا تتحمل بريانا البقاء في جهلها، يجب أن يشرح لها أحد حقيقة الموقف كله! بما أن رايدر مصمم على الصمت، فهي ستسأل آن!.

بعد تناول العشاء، نهضت آن وبريانا لتنظفا الطاولة. ورفضتا مساعدة الرجلين واتجهتا نحو المطبخ. ما إن اصبحتا وحدهما، حتى امسكت آن بيد بريانا، وبدا القلق في عينيها.

«بريانا... اتعتقدين انك قادرة على اقناع رايدر بأن يتعقل؟».

«لماذا انا؟» سألتها بريانا بدهشة.

«قد تنجحين انت حيث فشلنا نحن!».

«ولكن لماذا تطلبين مني انا ذلك؟ في المرة الأخيرة التي تكلمنا فيها عن رايدر؛ نصحتني بأن لا اطور علاقتي به».

«هذا صحيح، إلا أن الوضع يبدو لي قد تغير...» دق قلب بريانا بسرعة، ورمت نفسها على أقرب كرسي.

«ايمكنك أن تشرحي لي الخطر الذي يهدد رايدر؟».

«إنه مصر على نشر كتب يفضح فيه تصرفات عصابة في سان انطونيو تتجار بالعمال المهاجرين من المكسيك».

«أوه، هذا مرعب...».

«نعم... إنهم يساعدون هؤلاء المساكين بعبور الحدود بشروط قاسية، ويخدعونهم ويبتزون منهم أموالهم وأجورهم، ويتركونهم بدون أوراقهم الثبوتية...».

جحظت عيون بريانا. أن مواجهة هؤلاء المجرمين ضرب من ضروب الجنون!.

«يا إلهي!».

هزت آن رأسها بيأس. وظلت الإمرأتان صامتتين للحظات.

«اتعتقدين أنه بإمكاني أن ادفعه للتخلي عن هذه الخطة؟» سألتها بريانا بصوت مرتجف.

«هذا سيدهشني كثيراً... على الأقل، بإمكانك أن تقنعيه بالتزام الحذر».

«ألا يلتزم هو الحيطة والحذر؟» سألتها بريانا وقد اخذت ترتجف فجأة.

«إنه لم يكن حذراً ابداً...» وتنهدت آن بحزن «إنه لا

يهتم بحياته ولا يتردد في تعريضها للخطر. . .».

انهت الصديقتان تنظيف الصحون بصمت، وكل منهما غارقة في أفكارها. ولم تستطع بريانا إخفاء قلقها وخوفها، كما وأن كلمات آن جعلتها تشعر ببعض السخافة والحرج. لم يعد يهمها الآن اغراء رايدر واجباره على حبها. إنها تتمنى فقط أن يعيش! وإذا لم يكن يريدها، فهي ستمتلك القوة لتحمل ذلك، لكن إذا قتل أو تعرض لجروح خطيرة. . .

عندما عادتا إلى الصالون، اكتشفتا أن ربيكا استيقظت، ووالدها يحملها بين ذراعيه.

جلست بريانا على الكنبة واخفضت رأسها، وحاولت أن تكون بعيدة عن رايدر، كانت تعلم جيداً أنها إذا نظرت إلى الصحفي، فإن كل يأسها وحبها سيظهران في عيونها. يجب عليها أن لا . . .

أشارت آن سراً إلى زوجها، فنهض فوراً.

«حسناً. . يجب أن نذهب الآن» قال بول رغماً عنه.

«الآن؟ لا يزال الوقت باكراً» قال له رايدر وقد شك بشيء ما.

«انا متعبة جداً» تدخلت آن بسرعة، ثم التفتت نحو بريانا وابتسمت لها بمودة.

«شكراً على هذا العشاء اللذيذ. . . لا تنسي ان تعطيني وصفة الكاري قبل سفرك. . .».

«أي سفر؟» قاطعها رايدر وقد عقد حاجبيه.

«انا اذكرك بأن بريانا هي في إجازة. وأنها ستعود إلى

موطنها» اجابته آن متظاهرة بالبراءة.

خرج آل دانيالز. وظل رايدر وبريانا صامتين للحظات طويلة. كان رايدر ينظر في الفراغ وهو عاقد الحاجبين.

«هل ستعودين إلى بلادك قريباً؟» سألها رايدر أخيراً، انتفضت الفتاة، كان هذا السؤال بعيداً عن افكارها!.

«لم احدد موعداً حتى الآن. . .».

«في الاسبوع القادم؟».

«لست ادري. . . .».

قبل هذا العشاء. كان مثل هذا التبدل في ملامح رايدر يمنحها بعض الأمل، يبدو أنه لا يرغب برؤيتها ترحل. ولكن الآن، أنها لا تفكر سوى بالخطر الذي يهدد حياة الرجل الذي تحبه بكل كيانها.

احست بانفعال غريب لم تستطع مقاومته، فنهضت واقتربت منه. ظلت واقفة أمامه للحظة، ثم جلست على ركبتيها واسندت رأسها على ركبتيه بهدوء، واحاطت خصره بيديها.

شعرت بأنه يرتعش، فضمته إليها أكثر. فأمسك ذقنها، وأجبرها على النظر إليه. عندما لاحظ أنها تبكي، تفاجأ أولاً، ثم لمعت عيونه الزرقاء ببريق عميق.

«رايدر. . .».

تنهد الصحفي بألم، وابعدها عنه بلطف ونهض.

«لا يجب. . . بريانا. . .» تمتم بيأس.

نهضت بريانا بدورها، مع أنها كانت ترتجف.

«انا لا افهم. . .».

www.elromancia.com

فهز كتفيه وقد فقد صبره.

«أوه، ما نفع كل هذا!» صرخ بحدة «يجب أن اتغيب لبضعة ايام...».

شحب وجه الفتاة، أن الخوف يقبض قلبها.

«إلى اين انت ذاهب؟».

«من المستحيل أن اخبرك بذلك».

«لماذا؟ ألهذا علاقة بما كان بول يتكلم عنه في بداية السهرة؟».

«أن روت لك كل شيء، اليس كذلك؟» سألها غاضباً.

«نعم... أنها تظن بانني...».

«ماذا؟» قاطعها بغضب شديد «بانك قادرة على جعلي اتخلى عن هدفي؟ بانني ساغير رأيي عندما اراك تبكين، خاصة وانا اعلم انك سترحلين قريباً عن سان انطونيو؟».

ثم مد ذراعه وضمها إليه بعنف، وكان كل جسده يرتجف، وكأنه مصاب بحمى عنيفة.

«حسناً، أنها محقة...» أضاف بمرارة «انا لا اريد السفر، لا شيء يهمني اكثر من أن اضمك بين ذراعي، واقبلك، والامسك إلى أن اجعلك ترتجفين من الرغبة. انا مستعد للتضحية بحياتي كي أكون أول من يحبك ويعلمك اكتشاف اللذة، كي تفكري بي، فيما بعد، وانت تكتبين رواياتك، حلمي الوحيد هو أن اعريك من هذا الثوب وأمارس الحب معك طوال الليلة وأن استيقظ إلى جانبك صباح غد...».

وخبأ وجهه في شعرها، وضمها إليه بحرارة وشوق

كبيرين قبل أن يتركها أخيراً، ونظر إليها طويلاً، وقد شحب وجهه.

«ولكن للأسف، هذا الحلم مستحيل...» أضاف بصوت مرتجف «لا يحق لي البقاء معك. عشرات الناس يعتمدون علي، وسأذهب إلى آخر الدنيا في سبيل مساعدتهم».

رفعت بريانا نحوه نظراتها اليائسة، يبدو أن قرار رايدر لا يمكن التراجع عنه.

«إلى اللقاء، بريانا...» تمتم بصوت حنون «لا ترافقيني، انا اعرف الطريق جيداً...».

كانت هذه الليلة من اطول الليالي التي عرفتها الفتاة في حياتها، لم تتمكن خلالها من النوم ابداً، لا بد أن رايدر مسافر إلى الخارج، أنها متأكدة من ذلك. لكن إلى اين يذهب؟ هل سيتمتع ببعض الحماية أم أنه سيواجه المخاطر وحده؟ أنها تعيش عذاباً حقيقياً...

يا إلهي، كم تحبه! لم يعد يهمها الآن أن تعرف إذا كان يشاركها مشاعرها أم لا، لقد تخلت نهائياً عن خطتها السخيفة لإغرائه.

في الظلام، لمحت خيال ثوبها الحريري الأخضر الذي كانت قد اشترته لمحاولة إغراء رايدر. الآن يبدو لها سخيفاً ولا فائدة له. ألم يسبق لرايدر أن قال لها كم يرغب بها؟ إن صدى كلماته هذه لا يزال يرن في أذنيها...

وهي ترتعش عندما تتذكر الطريقة التي كان يضمها بها إلى صدره وهو يهمس بإذنها أنه يحلم بممارسة الحب

www.elromancia.com

معها، والاستيقاظ إلى جانبها، لكن مع ذلك رحل، رحل إلى حيث الواجب يناديه.

أن شخصية رايدر معقدة تماماً، كانت بريانا تشعر بذلك منذ لقاءهما الأول، لطيف، مبتسم، ودود، وبإمكانه في اللحظة التالية أن يكون قاسياً ساخراً، بصورة عامة، هذا الرجل يعتبر لغزاً بالنسبة لبريانا، رغم الحس النفسي الذي انعمت الطبيعة عليها به....

لقد شرح لها أن عدداً من الناس يعتمدون عليه، وأنه لا يحق له أن يخيب أملهم فيه، فهمت بريانا أن هذا الموقف الحازم ينبع من تجاربه القاسية الخاصة التي مر بها. إنه يشعر بأنه المسؤول عن وفاة والديه وأخته، النضال ضد المجرمين ومخالفي القانون يدفعه لنجدة المساكين كوسيلة لإراحة الضمير وإيجاد بعض الهدوء النفسي. إنه يعتقد أنه خان أهله وهذا الشعور بالذنب يدفعه للمخاطرة بحياته. وقد يكون يحتقر نفسه كثيراً...

تنهدت بريانا بيأس، يا إلهي، بإمكانها أن تضحي بحياتها من أجله! ألم يكن يجب عليها أن تقول له بانها ستنتظره مهما طال الأمر؟ لكنه لم يطلب منها شيئاً. حتى أنه لم يظهر رغبته في بقائها في سان انطونيو.

هذا الصباح رن جرس الهاتف وسحبها من تأملاتها المؤلمة، اسرعت نحو الهاتف وقلبها يدق بسرعة. قد يكون رايدر! عندما سمعت صوت آن عبر الهاتف، احست بدوار، واتكأت على الحائط كي لا تقع.

«بريانا، هذه انت؟» رددت آن للمرة الثانية بقلق.

شدت بريانا على السماعة اكثر، أوه، لماذا لم يتصل رايدر بها.

«نعم...» تمتمت بشرود وشعرت بقشعريرة باردة.

«اهناك اخبار؟».

«كنت سأطرح عليك نفس السؤال، اعذري تطفلي... لكن... هل رايدر معك الآن؟».

«لا...».

واحست بريانا بأن اية كلمة ستقولها ستظهر مدى عذابها.

«إذاً... انت تنجحي في اقناعه بالعدول عن سفره؟».

«لا...».

تنهدت آن بعمق ويأس.

«كان يجب أن تحاولي...» اجابتها بحزن «كيف تشعرين؟».

ضحكت بريانا بمرارة. كانت على وشك الإصابة بنوبة عصبية.

«انا؟ بخير».

كان العذاب الذي تعيشه منذ مساء الأمس يكاد يخنقها. فانهمرت دموعها على خديها، واجهشت بالبكاء بصمت وهي تمسح وجهها.

«لا تكذبي، اشعر من صوتك بانك بحالة سيئة. اتريدين أن آتِ لأكون معك؟».

«لا، لا ضرورة لذلك...».

«هل انت متأكدة؟ تبدين بحاجة للرفقة و...» سكتت

www.elromancia.com

آن قليلاً ثم أضافت بتردد.

«إذاً انت تحبينه؟».

لم تجبها بريانا، واجهشت بالبكاء من جديد، وهذا ما أكد ظنون آن.

«انت مجنونة بحبه...» أضافت آن وهي تتنهد بحزن.

وضعت بريانا يدها على قلبها لكي تسيطر على دقاته الغير منتظمة.

«نعم...» اجابت بريانا أخيراً.

«أوه، يا إلهي! كم انا غبية! كان يجب أن احفظ لساني، وألا اكلمك عنه كما فعلت...».

«لا تلومي نفسك، آن. لقد كنت محقة عندما اطلعتني على حقيقة الموقف».

«سيخرج من هذه المسألة سليماً معافى، لا تقلقي. الوضع ليس مأساوياً كما تعتقد. رايدر رجل بالغ، ومتعقل. لن يقوم بمخاطرة غير ضرورية. ثقي به!».

«ولكن... انت قلت بأنه لم يكن ابداً! حذراً!».

«حسناً... هذه المرة سيكون كذلك! منذ معرفته بك، بدى يتغير قليلاً...».

«حقاً؟» سألتها بريانا متلعثمة، وقد بدأ بريق الأمل يضيء ظلمات أفكارها التي تعذبها منذ مساء الأمس.

«نعم... يبدو لي أنك نجحت في خرق جدار وحدة صديقنا التي كان يحبس نفسه فيها. قد تتمكنين بواسطة الحب والصبر من إجبار رايدر على الخروج من عزلته نهائياً».

«فليسمعك الله».

عندما اقفلت السماعة، شعرت بريانا ببعض الأطمئنان، ولكن وللأسف، وخلال ساعات النهار، عاد القلق واليأس يسيطر من جديد على روحها.

كان اليومان التاليان الأيام الأكثر سواداً في حياة الفتاة. لم تكن قادرة على إبعاد الصحفي عن أفكارها، وكانت قد فقدت شهيتها للطعام، وهجرها النوم، وغرقت في العدم...

كانت اللحظات الوحيدة خلال النهار التي تشعر فيها ببعض الراحة، هي تلك اللحظات التي كانت تقرأ فيها صحيفة الشمس. كانت كل يوم تسرع إلى اقرب مكان لبيع الصحف، وتشتري الصحيفة التي تنشر مقالات رايدر اليومية.

بالتأكيد، هل لا تجهل بأنه كان قد كتب هذه المقالات قبل مغادرته سان انطونيو. كانت وهي تقرأ تلك السطور تشعر بأنه موجود قربها، وكأنها تسمع صوته العذب...

وكانت قد قصّت صورة رايدر التي كانت بجانب أحد مقالاته ووضعتها قرب سريرها. وكانت تتفاجأ كل ليلة من تلك الليالي التي لم تذق فيها طعم النوم، بأن أصابعها تداعب هذه الصورة. هذا شيء سخيف، نعم، ولكنها كانت تجد في هذه الحركة البسيطة شيئاً من الراحة.

في اليوم الرابع، بعد أن قضت وقتاً طويلاً تروح وتجيء في الصالون بتوتر شديد، جلست على تلك الكنبة التي كان رايدر يجلس عليها في ذلك المساء قبل سفره. كان

www.elromancia.com

متعبة جداً وقد أضناها القلق، وغفت على تلك الكنبة دون أن تشعر. . .

عندما استيقظت، وجدت أن الغرفة مظلمة، فدق قلبها بسرعة، واحست بالعرق البارد يتصبب من جبينها، فتلفتت حولها كالتائهة. كانت متأكدة أنها سمعت صوتاً قوياً، وكأنه طلقة نارية. . . واخيراً ادركت أنها كانت ضحية لكابوس مرعب. . . رايدر كان في خطر!.

شدت قبضتي يدها على الكنبة، وحاولت أن تتنفس بهدوء، وأن تبعد الأفكار القاتمة التي تربك فكرها. كانت تحلم، وقد ايقظها هدير شاحنة تمر من أمام المنزل. وللأسف لم تتمكن من القلق والشعور بأن مكروهاً أصاب رايدر. . .

في اليوم الخامس، قررت بريانا الخروج. إذا ظلت تحبس نفسها مدة أطول في هذا المنزل، فأنها ستصاب بالجنون حتماً. اتصلت بآن وثرثرت معها قليلاً، فدعتها آن لتناول الغداء معها.

للأسف، لم تكن وجبة الغداء مرحة كالعادة، فريكا الصغيرة كانت متأثرة بقلق الكبار، ولم تتوقف عن البكاء طوال الوقت. وقضت آن وبريانا طوال فترة بعد الظهر بمحاولة تهدئتها.

وأخيراً نامت الطفلة الصغيرة، واصبح بإمكان الصديقتين أن تتناولا طعامهما ولكن بدون أية شهية. كانت بريانا تنتظر عودة بول على أحر من الجمر. قد يكون لديه أخبار جديدة عن رايدر! وعندما عاد، كانت ملامح وجهه ونظراته تدل

على قلقه، وهذا طبعاً يدل على أنه لم يحصل على معلومات جديدة عن صديقه. . .

وهكذا عادت بريانا إلى منزلها وقد ازدادت حالتها النفسية سوءاً عن الصباح. نزلت من سيارتها ورفعت رأسها عالياً وحاولت أن تتغلب على مزاجها السيء.

ابتسمت فجأة، وفكرت بالجهود الكبيرة التي بذلتها هي وآل دانيالز للظهور بمظهر الهادىء المتفائل. وكان كل منهم يخفي قلقه عن الآخر.

صعدت بريانا درجات السلم وفتحت الباب. وما أن دخلت حتى توجهت إلى المطبخ لتعد كوباً من القهوة. كانت قد شربت الكثير من القهوة في الأيام الأخيرة. وفنجان آخر لن يمثل فرقاً كبيراً. . .

مرت أمام الصالون، وفجأة لفت انتباهها شيء. فحبست أنفاسها وتقدمت بحذر. . . أنه رايدر!.

كان ممدداً على الكنبة ويتأملها بشرود كأنه استيقظ من النوم لتوه، للحظات طويلة، تأملا بعضهما بصمت. لشدة دهشتها ظلت بريانا مسمرة مكانها، لا بد أنها تحلم. لا يمكن أن يكون الذي يشغل أفكارها أمامها الآن. . . كان رايدر من تحرك أولاً. فصرخت بريانا وقد شحب لونها عندما لاحظت ذراعه الأيسر مربوطاً.

«رايدر؟» سألته متلعثمة وكأنها لا تصدق ما تراه.

«هذا انا حقاً» اجابها مبتسماً.

«يا إلهي، انت مصاب!».

«هذا شيء بسيط».

www.elromancia.com

ولكن بلى! هذا مهم جداً على العكس! ارادت ان تركض نحوه وتعانقه. لكنه كان يبدو غير قادر على العناق. . .

«منذ متى وانت هنا؟».

«منذ اكثر من ساعتين. . .».

وهي التي كانت في الخارج! لماذا اختارت هذا اليوم لتخرج، بينما قضت أياماً تحبس نفسها في المنزل؟.

«وكيف دخلت؟».

«لدي مفتاح. . .».

والتقت نظراتهما بعمق، ولم تعرف الفتاة ماذا تقول.

«الن تسأليني كيف كانت رحلتي؟».

فهزت رأسها بصمت، وكانت لا تزال تحت تأثير المفاجأة.

«حسناً، انا راض جداً عن النتائج» أضاف مبتسماً.

«انا سعيدة من اجلك» اجابته متلعثمة.

ولم تكن قادرة على رفع نظرها عنه. وتساءلت هل جرحه حقيقي؟.

«هل استشرت طبيباً؟» سألته بقلق.

«نعم، استشرت اختصاصياً» اجابها وقد اتسعت ابتسامته.

«وماذا قال لك؟».

«بأنه جرح بسيط، لن يظهر له أي أثر بعد أيام قليلة».

اغمضت بريانا عينيها للحظة. إذاً. غريزتها لم تكن مخطئة عندما احست بأن رايدر بخطر. حتى أنها سمعت

في منامها طلقة نارية. . .

«كيف حصل ذلك؟».

«حدث أن كنت في مكان في وقت غير مناسب. لكنني سأعيش. . .».

احست الفتاة بغضب شديد. كيف يجرؤ على الاستهتار بحياته؟.

«بالفعل. . .» ثم ابتسم ابتسامة مكر وأضاف «هل كنت قلقة علي؟».

فاجأها هذا السؤال لدرجة أنها ظلت مذهولة. إنه يمتلك الجرأة ويسألها إذا كانت قد قلقت عليه؟ هي، التي كانت تفقد عقلها بسببه، لقد تعذبت كثيراً في هذه الأيام.

لكن، طبعاً لا يجب عليها أن تعترف له بذلك.

«لا، انا لم افكر بك ابداً» اجابته بجفاف «كنت مشغولة جداً. . .» نظر رايدر إليها بسخرية.

«هذا الكذب ليس مقنعاً. . .».

«انا لا اكذب» ورفعت رأسها عالياً «كنت مشغولة جداً في أبحاثي، لم اكن اجد الوقت لإعداد طعامي. والآن لم يبق لدى سوى أن استعد للسفر».

ساد صمت ثقيل في الغرفة فجأة. ونهض رايدر وقد شحب وجهه، احست بريانا أنها ستفقد وعيها، أوه، أي شيطان دفعها لهذا القول؟ أنها لا ترغب بمغادرة سان انطونيو! ليس الآن على الأقل!

«متى ستسافرين؟» سألها بجفاف.

لم تجد بريانا خياراً آخر، من المستحيل أن تتراجع

www.elromancia.com

للوراء.

«السبت» اجابته بصوت ضعيف.

قطب رايدر حاجبيه، وظهر الألم على وجهه.

«بهذه الحالة... اعتقد أنه من الأفضل أن نتودع الآن. قد اكون مشغولاً جداً في الأيام القادمة».

www.elromancia.com

- ٥ -

هذا ليس معقولاً! لا يمكن لعلاقتهما أن تنتهي بهذا الشكل السخيف!.

«كما تشاء» اجابته متلعثمة وقد جف حلقها.

وكتمت يأسها وخيبتها، ومدت يدها نحوه، لكن رايدر لم يتحرك، ظل يتأملها بصمت.

«هذه طريقة باردة وتقليدية في الفراق، اليس كذلك؟» قال رايدر أخيراً بصوت ضعيف «حتى الآن، كانت علاقتنا حارة، على ما يبدو لي...».

لم تجبه بريانا. يا إلهي، لم يحاول أن يلمسها ولا أن يقبلها! إذا وجدت نفسها بين ذراعيه، فهي لن تجد القوة لإخفاء مشاعرها اكثر، ستصرخ وتعلن له عن حبها المجنون بصوت مرتفع. أمام صمتها وعنادها، تنهد

الصحفي . وامسك يدها بين يديه .

«ألا تزالين تذكرين لقاءنا الأول؟» سألها بهمس .

تفاجأت بريانا ورفعت نحوه نظرات ملؤها القلق .

«نعم . . .» .

«لقد وعدتني بإهدائي كتابك القادم، إذاً كنت لا تزالين متمسكة بكلامك، اكتبي فقط على صفحة الأهداء لبطل هذه الرواية . وانا سأفهم . . .» .

احست بريانا بأنها تلقت ضربة قوية على قلبها، لماذا لا تعترف بكل شيء؟ أنها لا تمتلك القوة على الصمت، تريد أن ترتمي بين ذراعيه وتمنحه نفسها جسداً وروحاً . . .

ولكن لا، لا يجب أن تطيع اندفاعاتها . لقد قررت أن لا تتصرف مثل بقية النساء اللواتي عرفهن، وان لا تنهار تحت ثقل الحب . هذا النوع من المشاعر يرعب رايدر، فهو لا يمتلك شيئاً يقدمه بالمقابل .

«موافقة . . .» وابتسمت ابتسامة شاحبة .

وانقبض قلبها وهي تراه يتجه نحو الباب .

«رايدر؟» صرخت فجأة بصوت مرتجف «لماذا جئت إلى هنا؟ انا لم اطرح عليك هذا السؤال بعد . . .» .

«حسناً، هذا ليس مهماً الآن، بدون شك اعتقدت رغباتي حقيقة، هذا كل شيء، انا . . . كنت اعتقد انني تركت شيئاً في هذا المنزل، لكنني كنت مخطئاً» .

قطبت بريانا حاجبيها، ما معنى كلماته هذه؟ لم يكن رايدر قد نسي أي شيء شخصي في هذا المنزل، أنها متأكدة من ذلك، وإلا لكانت لاحظته . . . شيئاً فشيئاً

خطرت فكرة مجنونة في رأسها، فأسرعت نحو الباب وهي ترتجف .

«رايدر . . . هل كنت تقصدني انا بكلامك هذا؟» .

ولكن للأسف، لم يكن بإمكانه أن يجيبها، لقد اصبح بعيداً .

في صباح يوم السبت، استيقظت بريانا غاضبة من كل الكون . طبعاً كانت هي المسؤولة الوحيدة عن الحالة التي تتخبط فيها، لكنها كانت ترفض الأعتراف بذلك . من السهل جداً إتهام رايدر . بعد كل شيء، هو تقبل قرار رحيلها دون أي اعتراض، حتى أنه لم يحاول منعها .

لماذا لم يضمها بين ذراعيه؟ لماذا لم يطلب منها أن لا تتركه؟ كانت مستعدة للتخلي عن قرارها بدون تردد وبكل سرور . . . ألم يكن يجب عليه ان يبذل مجهوداً صغيراً؟

ولكن لا! هذا الصحفي لديه اهتمامات أخرى أكثر أهمية منها، مقالاته اليومية، وتحقيقاته الخطيرة، ومجازفته بحياته . . .

أوه، اللعنة! حتى أنه لم يتصل بها خلال اليومين الأخرين . لقد أزالها من وجوده بكل بساطة .

ولكن يجب عليها أن لا تعذب نفسها . آه لا! ستقلع طائرتها في الساعة الحادية عشرة، وهذه الفكرة اصعب عليها من الموت . إلا أنها لن تبكي، لا مجال لذلك! .

كما وأنها اصبحت تكره هذا المنزل كثيراً، وتكره مدينة سان انطونيو ايضاً . أما التكساسيون، فأنها تتمنى لهم الهدوء والسلام . مع أن واحداً بينهم لا يستحق حبها

www.elromancia.com

الكبير. . .

ما إن تصل إلى بنسلفانيا، لن تفكر ابداً في أن تطأ قدمها أرض بلد آخر! لم يعد السفر يهمها، ولن تكتب ابداً تلك الرواية التي بدأت تعمل عليها. لا تريد أن تسمع شيئاً عن تكساس، ابداً.

قامت بريانا بجولة أخيرة على المنزل لكي تتأكد من أنها لم تنس شيئاً.

لم تكن تريد أن تترك أي شيء شخصي بين هذه الجدران، ولا حتى دبوس شعر صغير.

في الصالون، توقفت فجأة أمام الكنبة التي كان يجلس عليها رايدر آخر مرة، ورفستها برجلها بغضب شديد. وشعرت ببعض الراحة، فكررت ضرباتها من جديد.

انقذها رنين الهاتف من هذه الثورة العارمة التي تسيطر عليها، فأشرق أمل صغير في رأسها، واسرعت نحو الهاتف. وفي طريقها توقفت أمام المرآة، وضحكت بمرارة، أي منظر هذا.

«انظر كيف تبدو كاتبة مشهورة!» فكرت وهي تشعر بأنها على وشك الانهيار. كان شعرها منفوشاً، وخداها حمراوين، وجاكيت بيجامتها ليست مرتبة. . . كانت تبدو كالمجانين حقاً!.

شدت على قبضتي يدها، وحاولت أن تتمالك هدوئها وهي ترفع سماعة الهاتف، إذا كان هذا رايدر، يجب أن لا يلاحظ شيئاً. . .

«بريانا؟».

ما إن عرفت بريانا صوت آن، حتى سالت دموعها على وجهها. لم تكن قد شعرت بمثل هذه الخيبة في حياتها.

«نعم. . .» اجابتها بصعوبة.

«عزيزتي المسكينة. . . تبدين بحالة صعبة، اتمنى أن تكوني قد غيرت رأيك! انك على وشك ارتكاب غلطة كبيرة. . .».

«لا، لا اعتقد ذلك. . .».

«ولكن بلى! كان رايدر هنا منذ دقائق فقط. هو ايضاً يبدو تعيساً، انتما غبيان حقاً، لقد لمته كثيراً لأنه يسجن نفسه في ظلال الماضي».

«انت قلت له ذلك؟».

«نعم، وقلت له أشياء أخرى ايضاً. . .».

«ماذا. . . بماذا اجابك؟».

«للحقيقة. . . لا شيء» اعترفت لها آن بعد تردد قصير.

انخفضت بريانا كتفيها وكأنها تنوء تحت حمل ثقيل.

«كنت اشك بذلك. . .».

تنهدت آن ثم عادت لحيويتها.

«لقد انهى تحقيقه، وسينشر أول مقال له غداً. ولقد أخبرنا اليوم ما يحتويه، أيهمك أن تعرفي ذلك؟».

«نعم بالتأكيد. . .».

«انت تعرفين الخطوط العريضة لهذه القصة. ولكني سأكررها كي تصبح واضحة اكثر لديك. منذ شهر تقريباً، اتصل رجل برايدر وكان يريد أن يخبره ببعض المعلومات. اتفق رايدر معه على موعد. وهكذا أخبره الرجل عن

عصابات تهرب المهاجرين إلى بلدنا. كما أخبره عن الظروف القاسية التي يواجهها هؤلاء المهاجرين...».

قطعت بريانا كلامها واخذت نفساً عميقاً. ففكرت بريانا بذلك اليوم الذي التقت فيه برايدر في المتحف التابع للمركز الثقافي. لقد شرح لها رايدر ذلك اليوم، أنه ينتظر أحداً، لا بد أنه كان ذلك الرجل.

«فقرر رايدر أن يتحقق من كلام هذا الرجل، وبدأ تحقيقاته، في هذه الفترة بالتحديد، تعرض لحادث سيارة. بالتأكيد، كان هذا تحذيراً له. لكن رايدر لم يهتم، بل على العكس زاده هذا تصميماً على إظهار الحقيقة. وقرر أن ينذر الشرطة فور وصوله إلى دليل. ولكن الشرطة لا تهتم سوى بالدلائل المادية، ولهذا كان يجب مفاجأة هؤلاء المجرمين بالجرم المشهود. فاقترح رايدر أن يكون هو الطعم، على شرط أن يُسمح له بنشر سلسلة مقالات حول هذا الموضوع، ولهذا السبب ترك سان انطونيو لبضعة أيام. كانت مهمته حرجة جداً لأن أحد المشتركين في هذه العصابة كان ابن شخصية سياسية بارزة، ويبدو أن هذا السياسي كان على علم بما يجري. وقد يتهم بشكل مباشر...».

«يا إلهي! هل تمكنوا من إيقاف العصابة؟» سألتها بريانا بقلق.

«نعم، لقد قبض البوليس على المهاجرين، وبفضلهم وبفضل اعترافاتهم تم القبض على رئيس العصابة، إنه الآن في السجن».

«اتمنى أن تطول إقامته فيه» اجابتها بريانا بصدق، وكانت تعلم أنه إذا خرج من السجن. فإن حياة الصحفي ستكون في خطر.

«لا تقلقي، لقد اخبرنا رايدر بأن هذه القضية انتهت، وأنهم سيدفعون ثمن جرائمهم».

تنهدت بريانا وشعرت ببعض الأطمئنان.

«لماذا لا تلغين سفرك و... تبقين في سان انطونيو أياماً أخرى؟ سيكون هذا جيداً، اليس كذلك؟».

«سيكون هذا محزناً!» فكرت بريانا وهي ترتعش. كان لدى رايدر متسع من الوقت لو اراد الظهور، كان بإمكانه أن يطلب منها عدم الرحيل، لكنه لم يفعل. هذا يعني إنه لا يكن لها أية مشاعر خاصة. سيكون هذا محزناً ومؤلماً، خاصة إذا تأكدت أكثر من عدم مبالاته بها، لن تستطيع تحمل ذلك.

«أن عائلتي تنتظرني...».

«لماذا لا تتصلين بهم وتخبرينهم بأنك ستمددين إقامتك هنا؟».

«لا».

«ألن انجح في اقناعك بتغير رأيك؟».

هزت بريانا رأسها بالنفي، دون أن تفكر بأن صديقتها لا تراها. لكن آن فهمت صمتها.

«انا آسفة... ولكن... سنبقى على اتصال، اليس كذلك؟» أضافت آن بتوسل «بالتأكيد، انت كاتبة مشهور وحياتك ملىء بالنشاطات ولكننا نكن لك محبة

عميقة. . .».

انهمرت دموع بريانا من جديد.

«شكراً، آن. . . كلماتك رقيقة جداً. . .».

«طلب مني بول ان انقل لك صداقته».

«قولي له أن هذه المشاعر متبادلة. قبلي ريبكا عني. . . انا. . . اتمنى أن أراكم يوماً في بنسلفانيا، سأكون حقاً سعيدة جداً. . .».

«سنزورك حتماً، اعدك بذلك، بانتظار ذلك، سنرسل الك صور ابنتنا الشيطانة دائماً».

اقفلت بريانا السماعة، واجهشت بالبكاء المرير. ثم مسحت وجهها ونظرت إلى ساعتها، يجب أن تستعد للسفر. . .

وقفت بريانا في صالة المطار، تتأمل حركة المسافرين بيأس وخيبة. الغضب الذي كان يتملكها قبل ساعات هجرها الآن، لم تعد تلوم رايدر لأنه لم يحاول منعها من مغادرة سان انطونيو، ولا يمكنها أن تلوم نفسها لأنها اتخذت قرار الهرب.

لقد وقعت بكل بساطة بحب هذا الصحفي، ولا يمكن أن تلوم أحداً على ذلك، هذا النوع من التجارب هو جزء من الحياة، وكذلك العذاب والألم الذي يمزق قلبها الآن.

لقد احب رايدر من قبل إمرأة أخرى، وتعذب كثيراً بسببها، يجب أن تكتفي بما قدمه لها، أنها لم تتمكن من هزمه حقاً، لكنها اربكته على الأقل. هذا أفضل من لا شيء. . .

www.elromancia.com

بالتأكيد هذه الفكرة ليست كافية لإراحتها. لقد سبق لها أن قرأت وكتبت عدداً كبيراً من روايات الحب الخائب القلوب المحطمة، لكنها لم تتصور أنها ستشعر بمثل هذا العذاب. من الآن وصاعداً ستتكلم عن هذا الموضوع بناء على تجربة. . .

تنهدت بريانا بحزن عميق، لقد جاءت إلى تكساس وهي مليئة بالآمال! وهي اليوم ترحل عنها فارغة اليدين، بائسة ووحيدة. . . كانت صالة المطار تعج بالعائلات وبرجال الأعمال، وببعض رعاة الأبقار الذين يضعون قبعات واسعة وينتعلون بوطات طويلة. كل هؤلاء، كانوا متوجهين إلى بتسبورغ مثلها.

جلست إمرأة قرب بريانا وابتسمت لها. لكن بريانا ادارت وجهها وتظاهرت بأنها لم تر شيئاً. لم تكن بمزاج يسمح لها بالثرثرة، الثرثرة بحاجة لمزاج جيد بينما هي لا تملك الشجاعة، أوه، يا إلهي، فقط لو كان رايدر هنا! بأية سعادة سترتمي بين ذراعيه!.

نهضت فجأة كأنها تجلس على راسور «كفى!» لن يفيدها التفكير به، ولا بما كان بإمكانه أن يمثله في حياتها. الأفضل أن تجد الآن شيئاً تشغل تفكيرها. وإلا فأنها ستقضي كل رحلتها وهي تحسب الكيلومترات التي تفصلها عن الرجل الذي تحبه بهذا الجنون. وهذه ليست بالفكرة الجيدة. . .

نظرت إلى ساعة يدها، لا يزال لديها متسع من الوقت للذهاب إلى مكتبة المطار، فحملت حقيبتها جيداً

واسرعت.

في المكتبـة، لفت نـظرهـا جنـاح الأدب العـاطفي، ولاحظت ببعض السرور أن روايـاتها معـروضة في الـواجهة الأمـامية. كـل رواياتهـا مرتبـة على رف واحد، حتى آخر رواية لها زهرة الرمال...

ادارت بـريانـا رأسها، والـدمـوع تتـلألأ في عينيهـا، لا يمكنها تحمل رؤية غلاف هذا الكتاب الأخير، أنه يذكرهـا بلقائها الأول مع رايدر أوه، يا إلهي...

حبست دمـوعها، وتـأملت العناوين المعـروضة أمامها، لقد مضى زمن طويل لم تقرأ فيـه أروع القصص، مع أنهـا مسلية حقاً، لكنها تضم قصصاً عاطفية ايضـاً، وهذه ليست فكرة جيدة بالنسبة لفتاة محطمة القلب مثلها.

المغامرات الخيالية تنتهي دائمـاً جيداً، لكن في الـواقع يكون الأمر مختلفاً جداً، وهذا ما تعلمته بريانا بنفسها.

تنهـدت بحزن من جـديد، ثم اختـارت آخر كتـاب في هذه السلسلة واتجهت نحو الصندوق. كانت مطأطأة الرأس ولم تنتبـه للرجل الذي يقتـرب منهـا. وفقط عندمـا سمعت صوته ادركت وجوده.

«صبـاح الخيـر، سيـدتي... أيمكن أن تتكـرمي علي بتوقيعك، لو سمحت؟».

كانت مفاجأة بريانا كبيرة، لدرجة أنها كادت تنهار. أهي تحلم مجدداً... ولكن لا، إنه هو؛ رايدر!.

وبسرعة احست بسعادة كبيرة تـزيل كـل همومهـا. وكان يجب عليهـا أن تبذل جهـوداً كبيرة لكي تسيـطر على نفسها

وكي لا تنفجر من شدة فرحها

«إهـدأي» قالت لنفسهـا، قد يكـون جاء فقط ليقـول لي وداعـاً للمـرة الأخيـرة، من بـاب اللطف. الأفضـل لا تستسلمي لليأس، كي لا تصابي بخيبة جديدة.

www.elromancia.com

- ٦ -

جمعت كل شجاعتها، ورفعت رأسها ونظرت إليها.

كادت تتنهد بألم وهي ترى الوجه الذي تحبه كثيراً، والذي لم يفارق أحلامها خلال أيام عذابها الأخيرة. لا، لن تنس هذه الملامح الجذابة، وهذه العيون الزرقاء وهذه الابتسامة المثيرة...

«صباح الخير، رايدر... ماذا تفعل هنا؟» سألته بهدوء.

وتفاجأت كثيراً بهدوئها وهي تلفظ هذه الكلمات، على كل حال، رايدر لم يتفاجىء ابداً.

«حسناً.. بإمكاني أن ادعي بانني كنت على موعد مع رجل هنا، ولكن هذا ليس صحيحاً...».

فبلعت ريقها بصعوبة.

«هل جئت إلى المطار بسببي انا؟».

فليذهب كل الحذر إلى الجحيم! قد يقتلها جواب رايدر، لكنها مستعدة للمجازفة.

فهز رايدر رأسه بالإيجاب وظل صامتاً.

«لماذا؟» سألته متلعثمة.

ومن جديد، احست بأنها ستختنق، إن هذا الأمل كبير جداً ولا يمكنها تحمله.

«لأنني لا استطيع أن افعل غير ذلك...» اجابها هامساً.

اخذ قلب الفتاة يدق بسرعة، فحاولت أن تتنفس بهدوء. هذا ليس الوقت المناسب للإغماء!

«لماذا؟» كررت بريانا بإلحاح.

وظلت مسمرة مكانها تنتظر. لقد كانت غبية في الأيام السابقة، ولم تطرح عليه الأسئلة التي تحيرها. ولن ترتكب من جديد مثل هذه الأخطاء.

«اكتشفت انني لن استطيع العيش بدونك» قال لها بحدة.

في هذه اللحظات، ارتفع صوت المذياع، يدعو المسافرين للتوجه نحو باب الإقلاع، لكن بريانا لم تنتبه لذلك.

«لماذا؟» سألته بإصرار.

«لأنني احبك...» اعترف رايدر بشيء من الغضب.

«هل انت متأكد؟».

«نعم».

www.elromancia.com

«لكنني لا اصدقك. . .».

«في هذه الحالة، اسرعي ستقلع طائرتك».

«لا، لن ارحل».

«لماذا؟».

«قد تكون صادقاً. . .».

«إذاً؟ أهذا مهم بالنسبة لك؟».

«طبعاً!».

«لماذا؟».

«لأنني انا احبك ايضاً! انت غبي حقاً. . . انا احبك منذ زمن بعيد!».

تقريباً، صرخت بريانا بهذه الكلمات الأخيرة. فالتفت كل زبائن المكتبة نحوهما بدهشة، لكنها لم تهتم بهم، لقد اصبح العالم كله جنة رائعة. وهي وحدها مع الرجل الذي تعبده.

كان رايدر قد اغمض عينيه وكأنه يريد أن يتمتع باعتراف حبيبته. وعندما فتح عيونه كانت تشع ببريق راقص.

«انك تملكين أسلوباً غريباً في التعبير عن الحب».

«الست سعيداً بذلك؟» سألته مبتسمة.

وتقدمت نحوه وامسكت ذراعه، إذا فكر بتغيير رأيه وبالهرب، فإنها لن تسمح له بذلك.

لكن لم يكن يبدو على رايدر أنه ينوي الأبتعاد عنها.

بل على العكس. جذبها نحوه وضمها بحنان.

«بل انا مجنون من السعادة، يا حبيبتي. . .».

وانحنى وقبلها قبلة خفيفة، لكن الشوق أثاره، فضمها

إليه اكثر واستجابت بريانا بحرارة لقبلته. كانا قد نسيا المطار، ونسيا الأرض كلها.

لكن البائعة ذكرتهما بالواقع وهي تصطنع السعال. . .

«أنا مضطرة لجعلكما تدفعان ثمن هذا الكتاب، حتى إذا كنتما لا ترغبان بقراءته. . .» قالت لهما مبتسمة.

انتفضت بريانا، ونظرت إلى البائعة بشرود. لم تكن قادرة على التلفظ بأية كلمة.

«أي كتاب؟» سألها رايدر.

«هذا الذي اوقعته الآنسة وداست عليه. . .».

نظرت بريانا إلى الأرض، واكتشفت الكتاب الذي تشير إليه البائعة. ولم تكن بريانا قد انتبهت إلى أنه وقع من يدها عندما سمعت صوت رايدر منذ لحظات.

«سأدفع لك ثمنه بكل سرور» اجابتها بريانا متلعثمة وقد احمر وجهها.

نظرت البائعة إلى رايدر وهي تبتسم بمكر.

«لقد سمعت صديقتك تقول لك بأنها تحبك. فلماذا لا تعيدها إلى المنزل؟».

ضحك الصحفي وامسك يد بريانا.

«انا متفق تماماً معك» اجاب مبتسماً، ثم نظر إلى بريانا بحنان.

«ما رأيك؟ اتريدين العودة معي ؟».

«نعم» اجابته بريانا وقد اشرقت عيونها من السعادة.

«إذاً، هيا بنا».

تناول رايدر حقيبتها وامسك يدها وابتعدا لكن البائعة

نادتهما من جديد.

«وهذا الكتاب؟».

«أوه!» صرخا معاً «اعذرينا...».

ومد رايدر يده إلى جيبه لكن البائعة استوقفته.

«لا، لا ضرورة لذلك... احتفظا بهذا الكتاب كذكرى. إنه هدية زواجكما من النادر جداً رؤية عاشقين مثلكما...».

انحنى رايدر وطبع قبلة على خد البائعة.

«شكراً...».

فعلت بريانا مثله، ثم غادرا المطار بسرعة...

في المساء، كانا متمددين على السرير يتمتعا بسعادتهما... جلست بريانا واتكأت على الوسادة تتأمله، وشعرها الطويل ينزل عن كتفيها كالمطر الذهبي.

«لم اكن احلم بمثل هذه السعادة...» قالت له مبتسمة.

«ولا انا ايضاً...» اجابها رايدر بحب كبير.

«أوه... حقاً؟».

«نعم...».

«مع انك، عرفت عدداً كبيراً من العشيقات...».

«لكنني لم اكن احبهن».

«اهذا يمثل فرقاً؟» سألته وهي تداعب شعره.

فتنهد وضمها إلى صدره من جديد.

«نعم، هذا يجعل الأمر مختلفاً جداً».

اغمضت بريانا عينيها، رايدر يحبها، لقد تأكدت من

ذلك الآن. الحياة هي بالفعل سلسلة حوادث غير منتظرة. بعضها مأساوي، وبعضها الآخر مثير. هذا الصباح مثلاً، كانت هي اتعس المخلوقات على وجه الأرض، كانت مضطرة للعودة إلى بنسلفانيا، والآن وصلت أخيراً، إنها في منزلها، طالما أن مسكنها سيكون من الآن وصاعداً حيث يعيش رايدر. لكن هنا سؤال... كانت ترغب بمعرفة جوابه قبل أن تستسلم نهائياً لسعادتها...

فأخذت نفساً عميقاً وجمعت شجاعتها وهمست.

«رايدر... اريد أن اسألك شيئاً...».

«ما هو؟».

«ان تكلمني عن زوجتك السابقة...».

احست بريانا به ينكمش، واحست بأن قلبها ينقبض، أوه إنها مجنونة تماماً! أي شيطان دفعها لهذا السؤال! وللأسف، من المستحيل أن تسحب سؤالها...

«ماذا تريدين أن تعرفي؟».

«انا... لا شيء مميز. لكن.. ألا تزال حية؟» سألته متلعثمة.

«اعتقد ذلك».

«هل انت متأكد؟».

«لقد مضى زمن طويل ولم افكر بها».

«هل هذا صحيح؟ انا... اقصد... هذا لا يعنيني طبعاً، ولكن... أن تتكلم عن مشاكلك مع صديقة، فهذه وسيلة تريح فيها نفسك...» نهض رايدر وجلس على السرير.

www.elromancia.com

«زوجتي السابقة لا تهمني ابداً...» اجابها بحزم.
«إذاً... لماذا تدفعني...؟».
لاحظ رايدر الألم في صوتها المرتجف.
«هل انا فعلت ذلك؟».
«نعم... عندما طرحت هذا الموضوع».
«انا لم انتبه لذلك...».
ابتسمت بريانا ابتسامة شاحبة وأشارت إلى المسافة التي تفصل بينهما على السرير.
«انظر... نحن بعيدان جداً...».
ضمها رايدر إليه، وطبع مئات القبلات الحارة على وجهها.
«يا إلهي، سامحيني، انا لم...».
فداعبت شعره لتهدئته.
«هذا ليس خطيراً لهذه الدرجة».
ظلا صامتين قليلاً، ثم تنهد رايدر وقال.
«انت محقة... انا بدون شك تعذبت كثيراً إلى أن تمكنت من إزالة زوجتي السابقة من ذاكرتي...».
قررت بريانا أن تطرح عليه السؤال الذي كان يقلقها منذ اسابيع.
«ألا... ألا تزال تحبها؟».
فرفع وجهها نحوه كي يجبرها على النظر إليه.
«لا... انا لا اكن لها أي شعور».
«إذاً، لماذا كنت ترفض الكلام عنها؟».
«حاولي أن تتخيلي... عندما نحلم بشخص لدرجة أن

نفقد عقلنا، يكون من المرعب جداً أن نكتشف أن هذا الشخص حقير... هذا بالفعل ما حصل بيني وبين سوزان، كنا قد التقينا في الجامعة، في السنة الأولى من دراستنا، كانت سوزان ملكة، جميلة مشرقة مرحة، ومحاطة دائماً بالمعجبين، وانا كنت واحداً منهم. لسبب غريب، اختارتني انا...».
شعرت بريانا بالغيرة، ولم تعد ترغب بسماع اعترافات رايدر كلها...
«ثم تزوجنا فور حصولي على الدبلوم، كانت أشهر زواجنا الأولى مثالية تماماً. أوه، ثم لاحظت أنها عابثة تافهة. لكنني حاولت أن لا افكر بذلك. ولكن ومع مرور الأيام، لم استطع أن اتجاهل الواقع الحزين. وكانت سوزان قد بدأت تمل من علاقتنا. لم اكن أكفيها. وبدأت مشاعري تتوضح، وبعد عامين من الجحيم، قررنا الانفصال، ثم الطلاق. ولم اسمع عنها شيئاً بعد ذلك».
«لكنك لم تكن قد نسيتها...».
«إذا كنت تشيرين إلى أن هذه التجربة اتعستني كثيراً، فهذا صحيح. خرجت منها حذراً، واشعر بمرارة كبيرة منعتني من العيش، ودون أن اشعر، كنت اقارن كل إمرأة التقيها بسوزان. كنت اخاف أن أخطأ مرة ثانية...».
«وما هو رأيك بي؟» سألته وقلبها يدق بخوف، فطبع قبلة على جبينها.
«انت مختلفة...».
«لماذا؟».

www.elromancia.com

«انت شيطان ماكر، احياناً لا اذكر حتى وجودك واحيانا، لا يمكنني أن ابعدك عن رأسي».

«وهذا يزعجك؟».

«جداً! لقد بذلت قوة كبيرة للبقاء بعيداً عنك!».

«لقد سبق أن شرحت هذا لي. . .».

«نعم، ولكن هـذا لم ينفعني، كنت اخشى أن اصبح اضحوكة بسببك. كنت احاول الهرب منك. عندما كنا معاً، كنت اتمنى فقط أن اقبلك».

«وماذا تريد اكثر من ذلك؟» سألته بدلال.

فضمها إليه بحنان كبير، وخبأ وجهه في شعرها.

«كل شيء. . . انا احبك. بريانا، احبك اكثر من أي شيء آخر في هذا العالم. . .».

وتناول شفتيها بشوق كبير، وبادلته القبلات الحارة، هذا كل ما كان ينتظره رايدر ليحملها من جديد إلى قمة اللذة.

بعد ستة اشهر على مغادرتها بنسلفانيا، كان بريانا قد نسيت تقريباً شتاء الشمال. الأنهار المجمدة، الهواء البارد الذي يعصف في الشوارع، والعواصف الثلجية رغم اقتراب فصل الربيع. سماء سان انطونيو الصافية، اصبحت بعيدة جداً.

كان رايدر يرتجف من البرد وهو يبدل ملابسه استعداداً للنوم.

«كيف يمكن للبشر أن يعيشون في مثل هذا المناخ القطبي؟» سألها بدهشة.

«نحن معتادون على هذا الطقس. إذا عشت هنا،

ستعتاد بسرعة عليه».

«مستحيل! كما وأنني لن احاول ذلك، طالما أن اولادنا سيكبرون تحت سماء تكساس الدافئة. . .».

ابتسمت بريانا وداعبت وجه زوجها بحنان.

«إذا كنت تشعر كثيراً بالبرد، فأن والدي لن يرفض أن يعيرك إحدى بيجاماته السميكة» قالت له بمكر.

«انت ترتدين ملابس والدتك، اعتقد أن هذا كاف» وأشار إلى قميص نومها القطني الواسع الذي تختفي تحته تماماً.

«إنه ليس جميلا، اليس كذلك؟» سألته ممازحة.

«من حسن حظك انني احبك بجنون. . .».

فأخذت ترقص الفالس، وهي ترفع أسفل قميص نومها الواسع وكأنه ثوب رقص خرج من أكبر دور الأزياء.

«انا اجد نفسي رائعة!».

«انت نعم. . . لكن هذا الشيء. . .».

«إنه يدفئني».

«ماذا؟ انني انا من يدفئك!».

فوضعت يديها على خصرها واجابته بدلال.

«وانا؟ الن امنعك من الارتجاف برداً؟».

ابتسم رايدر ابتسامته المثيرة.

«بلى. . . عندما تكونين بين ذراعي. . .».

«الا تشعر بالبرد، الآن؟».

«اهذا عرض؟».

لمعت عيونها بالحب، وهزت كتفيها دون أن تجيبه.

www.elromancia.com

«لأنه إذا كان عرضاً، فانا سأسرع بالقبول...».

ضحكت بهدوء عندما ضمها إليها.

«ولكن قبل ذلك» أضاف بسخرية لطيفة «فلنتخلص من قميص النوم الفظيع هذا...».

فيما بعد، كانا لا يزالان في السرير يستمعان إلى الهواء الذي يعصف في الشارع حول منزل آل سان كلير.

«هل سبق أن قلت لك كم احبك؟» سألته فجأة.

«لا، منذ اكثر من دقيقة، وانا حتى آخر مرة قلت لك كم احبك؟».

«منذ ثلاثين ثانية...».

كانت هذه الكلمات قد اصبحت نوعاً من الروتين. لم يكونا يتركان فرصة دون تكرارها...

«والداي أحباك كثيراً» قالت له وهي تتنهد بلذة.

«إنه شعور متبادل...».

«وأختي تحب لهجتك! في بداية إقامتي في سان انطونيو، قالت لي أنها ستكون سعيدة إذا حصلت على صهر من تكساس».

«إنها إمرأة صاحبة ذوق».

«حتى عندما تسخر من بوطك ومنظرك كرعاة البقر؟».

«نعم... هذا المزاج جزء من اللعبة...».

«أية لعبة؟».

«تلك أن عائلتك تلعب معي لأنهم يعلمون اننا سعيدان، وتلك التي نعيشها منذ لقائنا الأول».

«وكيف ذلك؟».

«نعم، منذ البداية، فكرت انك مضحكة جداً... لكنك أجمل النساء كافة...».

«حقاً؟».

«نعم... وانت، كيف تجدينني؟».

«بصراحة؟».

«نعم» اجابها وابتسم نصف ابتسامة.

«اعتقد أنه من الافضل أن لا أجيبك».

«لماذا؟».

«كي لا تصبح مدعياً».

«اعدك أن ابق متواضعاً...».

اخذت بريانا نفساً عميقاً وقالت بصوتها العذب.

«ما إن رأيتك في تلك المكتبة في دالاس، قررت انك ستكون عشيقي...».

انفجر رايدر ضاحكاً، واسرعت بريانا ووضعت يدها على فمه.

«صه، ستوقظ الجميع...».

«قد يكونون قد استيقظوا فعلاً...».

«رايدر!».

«نحن متزوجان، تذكري ذلك. إذاً يحق لنا أن...».

«أوه، يا الهي، ولكن والداي...».

«إنهما يعرفان الحياة اكثر منك، كانا عاشقين قبلنا بكثير...».

ثم سكت ونظر إليها مبتسماً.

«غير معقول! لقد تزوجت من فتاة محتشمة».

www.elromancia.com

«هذا ليس صحيحاً!».
«بلى! انت تكتبين روايات الحب، وانت عشيقة رائعة، إلا انها فتاة محتشمة...».
جلست بريانا على السرير، وامسكت وسادتها ورفعتها بوجه رايدر مهددة.
«اسحب كلامك فوراً، رايدر كنترال وإلا...».
«لقد تزوجت من فتاة محتشمة!» كرر ضاحكاً.
«سافل!».
لم يجد رايدر صعوبة في إجبارها على التمدد من جديد.
«انت رجل سافل، سيد كنترال...» تمتمت وهي ترمي نفسها بين ذراعيه.
«لقد سبق وحذرتك... سيدة كنترال».
«نعم... ولهذا السبب استوحيت منك شخصية راوول سانشر دي زافالا، إنه فظ وسافل...».
«هل نجح في هزم البطلة؟».
«لا».
«لأن البطل توفي في حرب الألامو، أليس كذلك؟».
«اوه، لقد قرأت مخطوطاتي سراً!» سألته معاتبة.
«كنت اريد أن اجعلها مفاجأة».
«بتزويجك الشرير للفتاة البريئة؟».
«لا، بإظهار أن راوول لم يكن سافلاً كما كان يحاول أن يظهر».
«مثلي انا؟».

«تماماً».
داعب رايدر خصلات شعرها بحنان كبير.
«انا احبك... بريانا... انا سعيد جداً بالزواج من فتاة محتشمة...».
قبل أن تتمكن من الاعتراض على كلامه، اطبق شفتيه على شفتيها...
من الخارج، كان الهواء البارد يعصف في الشوارع الخالية، ولكن بالنسبة لبريانا ورايدر، لن تتوقف الشمس عن الشروق، حتى في ظلام الليل...

www.elromancia.com